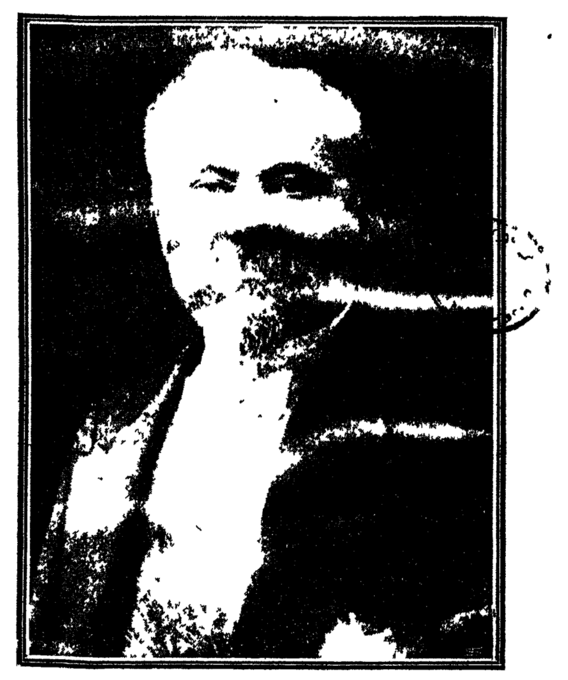
٣٢٥

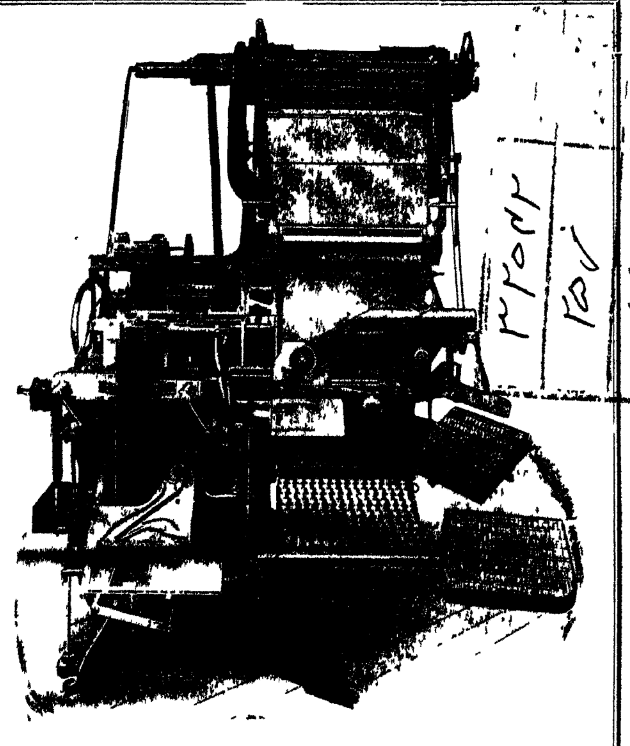
الجزء الرابع — ثمنه قرشان صاغ

تاريخ الحرب العظمى



المسيو بوانكاره رئيس جمهورية فرنسا

طبع في مطبعة المقتطف والمقطم بشارع الفاصد بمصر



ماكنة اللينوتيب وعليها رتبت حروف هذا الكتاب

مطبعة المقتطف والمقطم

بشارع القاصد قرب محطة حلوان

الاسعار بغاية الاعتدال

معركة مونس (١)

ولنأت الان الى موقف الانكليز شمالي نهر صامبر بين موباج وكونده فنقول انهم كانوا قد اتموا حشد الفيلقين الاول والثاني في ٢١ أغسطس . وفي اليوم التالي احتل السر جون فرنس مركزاً ممتداً من حصن كونده على بضعة اميال من فالنسيان شمالاً الى مونس شرقي كونده والى بنش شرقي مونس . وكان الفيلق الثاني الذي يقوده الجنرال دوريان يحتل الخط الممتد بين كونده ومونس . وهو مؤلف من الفرقتين الثالثة والخامسه . وميمنة الفرقة الثالثة في مونس نفسها . اما الفيلق الاول (وهو مؤلف من الفرقتين الاولى والثانية) الذي يقوده الجنرال هايج فوقف عن يمين الفيلق الثاني . واقيم لواء الفرسان الخامس الذي يقوده الجنرال تشتوود في بنش (شرقي مونس) لتغطية الميمنة (الفيلق الاول) . ولما كان الفيلق الثالث لم يصل ميدان القتال تألف الاحتياطي من الوية الفرسان الاربعه الباقية بقيادة الجنرال ألينبي . ولما كانوا قد تمرنوا على استعمال البندقية فقد حسبوا أحتياطياً من المشاة الراكبين. وعهد الى الجنرال تشتوود قائد لواء الفرسان الخامس في حمايه مقدمة الموقف ومراقبة حركات الالمان الامامية

وفي ٢٢ و٢٣ أغسطس خرج الفرسان للاستكشاف واوغلوا حتى سوانييه الواقعة على الطريق بين مونس وبروكسل . فابنوا ما رواه الفرنسويون من ان فيلقين المانيين على الكثير مواجهان للانكليز

بدأت المعركة يوم الاحد في ٢٣ أغسطس . وفي الساعة ٣ بعد الظهر ورد على الجنرال فرنس ان الالمان يحتشدون على خط مونس وبراي غربي بنش ويهاجمون بشدة . واضطرمت نار القتال حذاء الترعة الممتدة بين كونده ومونس. «فسحب»

---

(١) يراجع القسم الاول من خريطة تقهقر الفرنسويين والانكليز الملحقة بالجزء الثالث ففيها بيان جميع المواقع والمراكز المذكورة هنا

الجنرال هايج جنوده الى مرتفع من الارض خلف براي . واخلى لواء الجنرال تشتوود موقفه في بنش وارتد قليلاً الى الجنوب فاحتل الالمان بنش حالا . ونتج عن احتلالهم اياها ان ميمنة الفرقة الثالثة التي في مونس نفسها امست مهددة. فاصدر الجنرال فرنش امره «بسحب» القلب الى مكان وراء مونس «فانسحب» قبل تخييم الغسق

قال صف ضابط يصف قتال ذلك النهار: وبعد حملة الالمان الاخيرة علينا واخفاقها كان الظلام قد اقبل فكففنا عن القتال ونمنا تلك الليلة على احرّ من الجمر . وفي الفجر دعينا وقيل لنا اننا سنخلي مواقفنا ونتراجع الى غيرها . ولم يعلم احد منّا سبب ذلك ولكن لم يكن لنا مناص من اطاعة الامر»

وقبل الكلام على تقهقر الفرنسويين والانكليز الى نهر مارن لا نرى بأساً من ايراد رأي كاتب انكليزي آخر عن معركة مونس وما سبقها قال:

«ولا بدّ من الاعتراف بان الجنرال فون مولتكي قائد الجيوش الالمانية العام ادار القوات الهائلة التي كانت في يده بقدرة فائقة وغلب مناورته مناورة الجنرال جوفر خصمه قبل ابتداء المعركه . ذلك بان القائد الالماني اعدّ في البلجيك جيوشاً اعظم عدداً مما قدر القائد الفرنسوي وتركه يعمد الى الهجوم في عدة اماكن صعبة يعدّ الفوز فيها مستحيلاً . وان كان هذان الامران لا يكفيان لانالة الالمان السبق والتفوق في الصدمة الاولى من الحرب فان هناك امراً آخر جاء ثالثة الاثافيّ وهو ابراز الالمان لمدافع الحصار الضخمة بعد ما ابقوها سراً مكتوماً هذا الزمن الطويل . فان هذه المدافع هي التي احبطت حركة الفرنسويين الامامية واضطرت الانكليز الى التقهقر من البلجيك وشمالي فرنسا . لان واجهة الحلفاء الممتدة من مونس الى شارلروا كانت معتمدة على مقاومة حصن نامور . وكان ينتظر ان هذا الحصن يؤخر الالمان عن الزحف قدر ما اخرهم حصن لياج وان

الحلفاء يستفيدون كثيراً من خط الحصون الشمالية مثل ليل باستحكاماتها وحصونها غير الكاملة وموباج بحصونها العزيزة وحاميتها الكبيرة وغيرهما

لكن الالمان لم يريدوا ان تجري الامور في هذا المجرى لانهم ارتكبوا خطأً فاضحاً في لياج فعقدوا العزم ان يجعلوا اعداءهم يدفعون ثمن ذلك الخطأ . ووجه خطائهم انهم حملوا على حصون لياج بمشاتهم فصدّوا عنها خائبين بعد ما تحملوا خسارة كبيرة فلما جاؤوا بمدافعهم الضخمة دكّوا الحصون دكّاً . وكانوا يعلمون ان هذه المدافع تدك كل حصن مهما عزّ وطال ولكنهم كانوا يكتمون امرها ويعدونه سراً يحرّم افشاؤه لانهم كانوا ينوون حمل اعدائهم على الاحتماء بالحصون والقلاع فاذا فعلوا احدقوا بها وفتنوها بمدافعهم . فبدأوا بلياج ثم تحولوا عنها الى نامور فليل فموباج فانفرس،

واستطرد الى معركة مونس وانتقاد الجندي الانكليزي في قتاله فقال : ان الجيوش الاخرى تفوز في معاركها بشدة الهجوم اما الانكليز فلا . فانهم يميلون بالطبع الى التزام الدفاع والتربّص لعدوهم ليحملوه على مهاجمتهم فاذا دنا منهم اطلقوا نارهم عن قرب فاصابت الاهداف بغاية الدقة والاحكام. وهذه الطريقة تستلزم قوة ارادة شديده ودماً بارداً . فان نظرك بجنان ثابت وعين قريرة وركبة غير مصطكة وقلب غير واجف الى جيش من الاعداء يكتسحون الارض امامك وهم يدنون منك ليأخذوك في تيارهم وسيلهم الجارف والسيوف تلمع في ايديهم وشوقهم الى القتال وشرب الدم يزداد وضوحاً على جباههم وأعينهم كلما تقدموا في زحفهم ـ هذا كله يقتضي خلقاً ليس بالمعتاد . ولكن قومنا لهم هذا الخلق وبه كسبنا معظم معاركنا البرية

والحق يقال ان جميع المزايا الظاهرة هي ضد الرجل المدافع . فان المهاجم يستطيع اختيار نقطة الهجوم والاحتشاد فيها بقوة عظيمة قبلما يتمكن المدافع

من تحصين نفسه . وعليه ترى جميع الخبيرين بفن الحرب في اوربا مجمعين على القول بوجوب الهجوم في كل فرصة تسنح له . ولكن هذه الطريقة ليست طريقة الانكليز في الحروب البرية على القليل . وبنو اسكتلندا وارلندا وويلس اخذوا الان يحذون حذو ابن انكلترا الاصلية ويقتبسون عنه هذه السجية مع انهم اشد منه اندفاعاً واضيق خلقاً . ولكن اذا جاء اوان الكر على عدوّ أخفق في هجومه فعمد الى الفر فانهم امضى من اخيهم الانكليزي واشد اندفاعاً

ولو ان معركة مونس انتهت كما ابتدأت والانكليز والالمان متساوون عدداً لارتدّ الالمان عن خنادقنا مكسورين ولتبعناهم وبددنا شملهم . فان المشاة الالمان لا يحسنون اطلاق البنادق في خط مستقيم ولايعرفون كيف يستفيدون مما امامهم من الاشباح ليستذروا به من حر النار .ولايعرفون القتال وصفوفهم متباعدة فيقل بذلك استهدافهم لنار المدافع والبنادق . ولولا احكامهم لاطلاق البنادق المتعددة الطلقات لهزمناهم كثيراً . وما يقال عن الفرق بين مشاة الجيشين يقال كذلك عن الفرق بين فرسانهم . فان الفارس الانكليزي ابدى تفوقاً على الفارس الالماني

على ان معركة مونس لم تنته كما ابتدأت لسوء الحظ . فان فشل الجيش الفرنسوي المجاور للفيلق الانكليزي الاول (اي الجيش الخامس وفرقتيه الاحتباطيتين) على نهر صامبر بين شارلروا ونامورعادبالضرر على الجيش الانكليزي ذلك لان الجيش الفرنسوي اضطر الى التقهقر فتعرضت بذلك ميمنة الجيش الانكليزي (الفيلق الاول) لخطر اكتناف الجنرال بولوف لها . فلمنع ذلك اضطر الجيش الانكليزي الى التقهقر ليكون على خط واحد مع جاره الفرنسوي

ولو ثبت الفرنسويون في شارلروا لبقي موقف الانكليز حرجاً . فان الالمان قاموا بحركة اكتناف حول مونس للتضييق على الجيش الانكليزي فوجهوا

ثلاثة فيالق او اكثر على واجهته وفيلقاً رابعاً للالتفاف حول ميسرته بطريق تورناي . ثم اتضح بعد ذلك ان خمسة فيالق المانية بالاحتياطي التابع لها وعدد الجميع ٣٠٠ الف ارسلت لمقاتلة ١٠٠ الف من الانكليز اي ان الالمان كانوا ثلاثة اضعاف الانكليز ومدافع الاولين اربعة اضعاف الاخرين.

الفصل الثامن والعشرون

تقهقر الفرنسويين والانكليز الى نهر مارن[1]

سبب تقهقر الانكليز — عجز الفرنسويين وقتياً عن مساعدة الانكليز — مطاردة الالمان للجيوش المتقهقرة — معركة ليكاتو — القتال في وادي نهر موز من نامور الى فردان — معركة شارلفيل — حملة فرسان الانكليز — اجتماع الجنرال جوفر بالفيلد مارشل فرنش — قرار التقهقر الى نهر مارن — هجوم الفرنسويين لحماية تقهقر الانكليز — معركة جيز — معركة كومبيان — تقهقر الحلفاء الى ما وراء نهر مارن

يظهر من وصف صف الضابط الموجز لمعركة مونس على ما في ختام الفصل السابق انه لم يعلم هو ورفاقه سبب اخلاء الجيش الانكليزي لمونس وتراجعهم عنها الى مكان آخر . اما سبب التقهقر فهو ما يأتي :

في الساعة الخامسة من مساء الاحد ٢٤ اغسطس ورد على الفيلد مارشال فرنش تلغراف خطير الشأن من الجنرال جوفر يقول فيه ان ثلاثة فيالق المانية تزحف على مواقف الجيش الانكليزي مواجهة وان فيلقاً يزحف عليها مجانبة لاكتناف ميسرتها من جهة تورناي. وان الالمان استولوا على معابر نهر صامبر بين شارلروا ونامور فافضى ذلك الى تقهقر الفرقتين الفرنسويتين والجيش الفرنسوي الخامس التي كانت على يمين الجيش الانكليزي . فقرّ رأي فرنش على «سحب» جيشه الى مكان

---

(١) يراجع القسم الثاني من خريطة تقهقر الفرنسويين والانكليز الملحقة بالجزء الثالث

آخر كان قد استطلعه من قبل . وهو يستند يمنة الى حصن موباج ويسرة الى جنلاين الواقعة جنوبي فالنسيان بشرق . وكان من الصعب الاعتصام به لان الزروع والابنية القائمة فيه تجعل حفر الخنادق متعذراً وتضيق خط النار في بعض جوانبه ولكن كان يشفع فيه وجود مواقع حسنة للمدافع

وكان الالمان لا يزالون يتقدمون بقيادة الجنرال فون كلوك ولم يكفوا عن القتال طول الليل واستخدموا الانوار الكشافة الساطعة للاهتداء الى مكان اعدائهم . وكان فرنش واركان حربه قد اتخذوا مكاناً لهم في بافاي (في منتصف الطريق بين موباج شرقاً وفالنسيان غرباً) . فعزم ان يوجه فرقة الفرسان على الالمان ليحمي تقهقر الفيلق الثاني من خط كونده ومونس وكان الالمان يحاولون اكتناف ميسرته . واصدر الامر من جهة اخرى الى الفرقة الثانية من الفيلق الاول بان تتظاهر بالقوة من ناحية هارمنيي كأنها تحاول استرجاع بنش والغرض من هذا التظاهر مساعدة ميمنة الفيلق الثاني على التراجع من وراء مونس . وبذلك عمد الجيش الانكليزي الى الهجوم من طرفيه . وكانت مدافع الفرقتين الاولى والثانية معاً تساعد الفرقة الثانية في هجومها. ووقفت الفرقة الاولى في جوار بايصّان (في منتصف الطريق بين بنش شمالاً وموباج جنوباً) لتأييد هذه الحركة

فاخذ الفيلق الثاني يتقهقر من خط كونده ومونس الى خط دور وكواروبل وفرامريه والم بالفرقة الثالثة التي تؤلف ميمنته خسارة جسيمة من نار الالمان المتسرّبين من مضيق مونس . وكانت فرقة الفرسان الخامسة التي يقودها الجنرال ألينبي تساعد ميسرة الفيلق على التقهقر ولكن وصلت مساءً رسالة من قائد الفرقة الخامسة (التابعة لهذا الفيلق) يطلب فيها النجدة فهبت الفرقة المذكورة لانجاده . وفي اثناء ذلك حمل لواء الفرسان الثاني على جناح

طليعة المشاة الالمانية ولكنه صد بالاسلاك الشائكة وهو على بعد نحو نصف ميل عنها فخسر بلوكان منه خسارة كبيرة

وبات موقف الانكليز حينئذ في اشد الخطر اذ لم يأتهم مدد غير لواء المشاة التاسع عشر. وفي صباح ٢٤ أغسطس وقف هذا اللواء جنوبي كوادوبل ليدعم ميسرة الجيش . وكانت الفرقة الرابعة (التابعة للفيلق الثالث) قد بلغت ليكاتو في ٢٣ منه قاصدة الميدان ولكنها لم تشترك في القتال حتى اليوم التالي (٢٥ منه) . ولما اقبل الليل وقف الفيلق الثاني في موقف غربي بافاي والفيلق الاول الى يمينه . وكان يحمي ميسرة الجيش الفرسان ولواء المشاة المذكور وقد احتل مركزاً بين جنلاين وبراي (جنوبي فالنسيان بشرق) . وكانت الميمنة مرتكزة على موباج

ومما يدل على حرج موقف الجيش الانكليزي ما جاء في رسالة للجنرال فرنش. قال : ان الفرنسويين لا يزالون يتقهقرون وليس لي من عون الا ما استطاع حصن موباج ان يقدمه . وقد ثبت لي من محاولة الالمان لاكتناف ميسرتي انهم يسعون في اكراهي على الالتجاء الى موباج للاحداق بي فيها . فرأيت ان لا اضيع دقيقة في التقهقر الى موقف آخر مع ما في ذلك من الصعوبة والخطر نظراً الى تفوق الالمان عدداً والى اعياء جنودي» . ولم ير الجنرال فرنش من الحكمة ان يقف عند خط كمبراي وليكاتو ولاندريسي فلذلك قرر بذل المجهود لاطراد التقهقر حتى يبلغ مكاناً يكون عقبة كأداء في سبيل تقدم الالمان كنهر صوم او نهر واز ويمكنه من اراحة جنوده وجمع شملهم . وعليه امر قواده بان يولوا وجوههم شطر خط فرمان وسان كنتان وريبمون ويوالوا التقهقر اليه . اما سان كنتان فعلى نهر صوم. وريبمون فعلى نهر واز . وفرمان فغربي سان كنتان. ووراء سان كنتان وريبمون حصن لافير وهو غير كامل

وكان اهم ما يشغل الجنرال فرنش حينئذ «سحب» جيشه من بين فالنسيان

وموباج الى الطريق الممتد بين كمبراي وليكاتو . فان غاب مورمال يمتد من موباج الى لاندريسي الواقعة شرقي ليكاتو . ومدافع الحصون الواقعة جنوبي موباج لا تمنع الالمان احتلال الغاب المذكور . فصدر الامر الى الفرقة الرابعة القادمة حديثاً بالتقدم من ليكاتو حيث كانت الى موقف آخر ترتكز فيه ميمنتها على سولسم وميسرتها على الطريق بين كمبراي وليكاتو

استؤنف التقهقر صباح ٢٥ اغسطس وكان الجنرال ألينبي يحميه بفرسانه . وصدر الامر الى الفيلق الاول بالتراجع الى لاندريسي على الطريق المحاذي لاطراف غاب مورمال الشرقيه . وكان الى ميمنة الجيش الانكليزي فرقتان فرنسويتان احتياطيتان وجيش للفرسان مرابط شمالي افيسن الواقعة شرقي لاندريسي بقيادة الجنرال سورديه.وكان الجنرال فرنش قد زار الجنرال سورديه والح عليه في ارسال فرسانه لمساعدة الجيش الانكليزي في معارك ٢٣ و٢٤ أغسطس . فوعد سورديه باستئذان رئيسه في العمل على ميسرة الجيش الانكليزي ولكنه لم يفعل لان الاعياء كان بالغاً من خيله مبلغه . وعليه لم يستطع الجنرال فرنش ان يعتمد في الحال الا على الفرقتين الاحتياطيتين المشار اليهما وعلى الجنرال داماد المرابط قرب أراس بفرقتين اخريين من الاحتياطي . ويذكر القراء ان الفيلق الالماني الثاني كان زاحفاً من جهة تورناي لاكتناف ميسرة الجيش الانكليزي وكانت فرقة من الفرسان الالمان واورطة من المشاه قد احتلتا ليل غرباً بمدافعهما وهزمتا الجنود الفرنسوية التريتوريال التي كانت فى بتون بلا مدافع واستولتا على كمبراي وكسرتا التريتوريال الذين كانوا فى بابون شرّ كسرة وتهددتا اراس . وكان الجنرال داماد ينظم خط الدفاع شمالي نهر صوم فعا بجنوده النظامية على عجل الى اراس.واتفق مع الجنرال فرنس على مهاجمة ميمنة الالمان التي كانت تحاول اكتناف ميسرة الانكليز



هذه صورة ملك الانكليز واللورد كتشنر عن
يساره وهما يمشيان معاً لتفتيش الجيوش
الجديدة التى تعلم في ساحات
الدرشوت

وبقي الفيلق الانكليزي الاول مواصلاً التقهقر يوم ٢٥ أغسطس بطوله نحو لاندريسي فبلغها الساعة العاشرة ليلاً . وكان في النية ان يحتل الفرجة بين ليكاتو ولاندريسي ولكن الجنود لم يطيقوا اطراد السير من فرط الاعياء . ثم جرى قتال شديد بينهم وبين الالمان الى الشمال الشرقي من لاندريسي واخترق الفيلق الالماني التاسع غاب مورمال وهاجم لواء الحرس الرابع الذي كان نازلاً حوال لاندريسي واشتد القتال في اسواق البلدة واطلق الانكليز على الجنود الالمانية مدافعهم المنصوبة في رأس احدى الاسواق ففقد الالمان نحو ٩٠٠ رجل بين قتيل وجريح في مكان واحد. وساعد الانكليز جنود من الفرقتين الاحتياطيتين المشار اليهما آنفاً فتمكن الفيلق الاول عند الفجر من استئناف السير جنوباً الى جيز . اما الفيلق الثاني فتمكن في خلال ذلك بمساعدة الخيّالة من بلوغ خط ليكاتو وكمبراي . وكانت ميمنته في ليكاتو نفسها وميسرته في جوار كودري (بين ليكاتو وكمبراي) . اما الفرقة الرابعة (من الفيلق الثالث) فارتدت غربي كودري على سرانفيلير

وقد كان يوم ٢٦ أغسطس اصعب ايام التقهقر واحرجها . فما اشرقت شمسه حتى اتضح ان الالمان دفعوا معظم قوتهم على الفيلق الثاني والفرقة الرابعة وأن اربعة فيالق منهم ركبوا مدافعهم كلها تجاه الميسرة الانكليزية فرأى قائد الفيلق الثاني انه يستحيل عليه استئناف التقهقر امام هذا الهجوم الشديد . وكان الفيلق الاول لا يستطيع حينئذ حراكاً والجنرال سورديه لا يستطيع مساعدة الفيلق الثاني بسبب تعب خيله كما تقدم . ولم يكن هناك وقت لحفر خنادق . فاصلى الانكليز الالمان الزاحفين ناراً حامية من مدافعهم وردهم لواء المشاة الثاني عشر خائبين. ولكن لكل شيء حداً وللصبر حده ايضاً. وبان لقائد الفيلق الثاني ان لا غنى له عن التقهقر اذا شاء انقاذ فيلقه من الفناء ولا سيما ان مدافع الالمان

اربعةاضعاف مدافعه عدداً. وفي الساعة الثالثة ونصف شرع في التقهقر بحماية المدفعية والخيالة فنجا بجيشه . ولم تزد خسارة الانكليز في ثلاثة ايام من التقهقر (بين ٢٣ و٢٦ اغسطس) على ستة آلاف رجل

وبقي الجيش الانكليزي يتقهقر يومي ٢٧ و٢٨ اغسطس حتى وقف على خط نوايون وشوناي ولافير. وكان فرسان الجنرال سورديه وخيلهم قد استردوا بعض قوتهم فساعدوا الجيش في تقهقره بتخفيف الضغط عن ساقته وكذلك الجنرال داماد فان فرقتيه الاحتياطيتين كانتا تهاجمان الميمنة الالمانية من جوار اراس في اثناء التقهقر

***

لنعد الان الى ضفاف نهر موز فنقول ان سقوط نامور وعبور الالمان نهر صامبر ما كانا ليضطرا الانكليز والفرنسويين الى الارتداد عن هذا النهر وانما اضطرهم اليه اخفاق الهجوم الفرنسوي بطريق اردان البلجيكية واسترجاع الجنود الفرنسوية الى وادي موز واجتياز الالمان لنهر موز عنوة بين جيفه ونامور ـ هذه هي الامور التي حملت الجنرال جوفر على الارتداد على نهري آين فمارن . فان استيلاء الالمان على مثلث من الارض ضلعه الواحدة ممتدة من ضواحي موباج الى نامور والثانية من نامور الى جيفه والثالثة من جيفه الى موباج مكنهم من هزم الفرنسويين الواقفين موقف الدفاع على ضفة نهر موز اليسرى ثم زحف جيش منهم على رتيل سن روكروا

على ان كثرة الحراج والغابات بين جيفه ومزيير مكنت الفرنسويين من مقاومة الجنود الالمانية الصاعدة في وادي موز مقاومة بديعة . فانهم وقفوا لها وقفة ثابتة في شارلفيل على ضفة نهر موز الغربية تجاه مزيير الواقعة على بضعة اميال من سيدان غرباً . وكان الفرنسويون قد اخلوا المدينة من اهلها وخبأوا مدافع

المتراليوز في منازلها.وفي ٢٥ اغسطس بلغتها الجنود الالمانية فترك الفرنسويون هذه الجنود وشأنها حتى اجتازت الكباري الثلاثة التي فيها ثم نسفوا الكباري بالالغام وامطروا الجنود الالمانية وابلاً من قنابلهم فلم تتحول عن طريقها بل ابدت شجاعة بالغة حدّ التهور. وكانت المدافع الفرنسوية المنصوبة على التلال المحدقة بالمدينة تجتاح طلائع الجيوش الالمانية ولكنها فازت بنصب الجسور الوقتية على النهر واضطرت مدفعية الفرنسويين الى التقهقر . وجرت واقعة اخرى شديدة بين مزيير ورتيل فاخلى الفرنسويون مزيير

وكان الفرنسويون قد حاولوا في اثناء ذلك غزو اردان البلجيكية ودوقية لكسمبرج من البقعة الواقعة بين مزيير وفردان ولكنهم عادوا بصفقة خاسرة عودهم من روافد موز وزحفوا على نفشانو ولكن الالمان صدوهم بقيادة دوق ورتمبرج

وفي اوائل الحرب نزل جيش كبير من فرسان الالمان من لكسمبرج وحاولوا المرور بازاء حصن لونجوي واختراق الخط الفرنسوي بين فردان ومزيير فصدّتهم حامية لونجوي ثم ردتهم على اعقابهم بعد ما حملتهم خسارة كبيرة . ولكنهم اعادوا الكرة عليها وحصروها فسلمت لهم في ٢٧ اغسطس بعد مقاومة شديدة اخرت زحف الجيش الالماني المعتمد على تريف بقيادة ولي عهد بروسيا

وفاز الفرنسويون في عدة واقعات بين مزيير وفردان . ولكنهم بالرغم من ذلك اضطروا ان يتقهقروا الى وادي موز بسبب فشلهم في صامبر وشمالي موز واردان البلجيكية . ولما كان الجنرال جوفر قد قرر التقهقر الى نهر مارن أخلى خطّ موز الممتد من فردان الى مزيير فزحف الالمان الى غاب ارجون . وكان يقود ميمنة الجيوش الالمانية غرباً الجنرال فون كلوك . والجيش الزاحف من شارلروا ونامور الجنرال بولوف . والجيش الزاحف من دينان وجيفه الجنرال

هوسن . ولم يأت يوم ٢٨ اغسطس حتى وقف الحلفاء على خط ممتد من اميان الى مزيير . ولكن قوتهم شرقي موز بين مزيير وفردان كانت لا تزال تتقهقر امام جيشي دوق ورتمبرج وولي عهد بروسيا . اما جيش ولي عهد بفاريا فكان مرابطاً بجوار فرجة ننسي

قلنا ان الجيش الانكليزي كان في ٢٨ اغسطس يتقهقر حتى وقف على خط نوايون وشوناي ولافير . ولكنه عاد فاستأنف التقهقر الى خط كومبيان وسواسون يطارده جيشان من فرسان الالمان خرجا عليه من جوار سان كنتان . لكن الجنرال جوّ هاجم بلواء الفرسان الثالث الجيش الالماني الغربي فهزمه . وهاجم الجنرال تشتوود بلواء الفرسان الخامس الجيش الشرقي على غرة فشتته وحمله خسارة هائلة . ومع ذلك بقي موقف الانكليز حرجاً جداً فانهم ما فتئوا ستة ايام يتقهقرون ويقاتلون بلا انقطاع ليل نهار في ارض يجهلون مداخلها ومخارجها وبين قوم لا يحسنون لغتهم

وكان قد آن الاوان لاجتماع قائدي الجيشين والتشاور في هل يستأنفان التقهقر او ينقلبان الى الهجوم كما كانت الامتان الفرنسوية والانكليزية تتمنيان. ففي ٢٩ اغسطس زار الجنرال جوفر الفيلد مارشل فرنش . وكان جوفر قد غير خطته الحربية بسرعة مدهشة بعد فشل خطته الاولى التي بناها على غزو المانيا من بلاد اردان البلجيكية ودوقية لكسمبرج والزاس ولورين الجنوبية . اما الخطة الثانية ففحواها اخلاء خطي صوم وآين وحصون لافير ولاوون وريمس واستئناف التقهقر الى مارن واستدراج الالمان على طول الخط ثم الانقلاب من الدفاع الى الهجوم عند سنوح الفرصة الملائمة

وتقرر ان يحتل الجيش الانكليزي خط كومبيان وسواسون وقتيّاً وان يصد الالمان عن مطاردته بمهاجمة الجنود الفرنسوية لهم عن جانبيه . وكان جوفر قد

امر الجيش الفرنسوي الخامس (وهو مؤلف من اربعة فيالق) المرابط وراء نهر واز بين لافير وجيز بمهاجمة الالمان المرابطين عند صوم . وكان يقوده الجنرال بو الذي استدعي من الزاس فهاجم الالمان من بيرون على صوم الى جيز على نهر واز وكان جيشهم مؤلفاً من فيلق الحرس وفيلقه الاحتياطي والفيلق العاشر فطردهم الجنرال بو الى عبر واز ولكن ميسرته فشلت في هجومها فاضطر الى اخلاء اميان وخط صوم

وابلغ الجنرال جوفر الجنرال فرنش ان الجيش الفرنسوي المؤلف من الفيلق السابع المرابط شرقي اميان واربع فرق احتياطية وفرسان الجنرال سورديه قد اخذ يحتل مكاناً على ميسرة الجيش الانكليزي وان ميمنته مرتكزة على روي الى الشمال الغربي من نوايون . وان جيشاً جديداً (هو التاسع) مؤلفاً من ثلاثة فيالق عبئت من الجنوب بقيادة الجنرال فوش قد احتل البقعة الواقعة بين ميمنة الجيش الخامس الذي قهر الالمان في معركة جيز وميسرة الجيش الرابع الذي كان آخذاً في التقهقر بين نهري واز وموز

كذا كان موقف الجيوش يوم ٢٩ اغسطس ثم استأنف الحلفاء التقهقر . فارتد الفيلق الانكليزي الثاني من كومبيان والفيلق الاول من سواسون . وبينما كانت الجنود الانكليزية تتقهقر كانت تنسف الكباري والجسور التي في طريقها . فلم يأت اليوم الثالث من سبتمبر حتى كانت وراء مارن بين لانيي وبين سينيي سينيه ولكن الجنرال جوفر كان قد قرر ان لا يقف الجيش هناك بل وراء نهر سين . اما الالمان فنصبوا الجسور على مارن وهددوا خط الجيش الانكليزي والجيشين الفرنسويين الخامس والتاسع من عن يمينهم . لكن جيوش الحلفاء تملصت ووقفت وراء نهر سين في الخامس من سبتمبر. وفي ذلك اليوم عينه اجتمع الجنرال فرنش بالجنرال جوفر فاخبر الثاني الاول بانه قرر ان ينحول من

الدفاع الى الهجوم . وكانت الحكومة الفرنسوية وسفراء الدول قد غادروا باريس في ٢ سبتمبر الى بوردو وجاءت الانباء بان الروس انتصروا انتصاراً فاصلاً على النمسويين في غاليشيا .

وفي الرابع منه ظهر ان الالمان توقفوا عن الزحف على باريس وان جيوشهم الشرقية كانت غربي هضاب ارجون . ولم تكن موباج قد سقطت حتى ذلك التاريخ . وظهر ايضاً ان فون كلوك قائد الميمنة الالمانية كان يحاول الانضمام الى جيشي بولوف وهوسن في القلب تفادياً من حدوث فرجة في الخط الالماني وفي ذلك من الخطر ما فيه . وكانت جيوش الحلفاء مرتكزة الان على باريس غرباً وعلى فردان شرقاً ورأى القائد الاكبر ان الساعة اتت لضرب مواصلات الجيوش الالمانية . وكان الجيش الاول (الميمنة الالمانية) يتحرك شرقاً . والجيش الثاني يزحف على مارن جنوباً بغرب بعد استيلائه على ريمس . والجيش الرابع مرابطاً غربي ارجون . وكان فيلق فرنسوي قد صد الجيش الالماني السابع قرب دنفيل

وقد بلغت خسارة الجيش الانكليزي في تقهقره من مونس الى مارن ١٥ الف رجل بين قتيل وجريح وضائع على ما في الرواية الرسمية. اما الفرنسويون فلم يصلنا بيان رسمي بخسارتهم

الفصل التاسع والعشرون

معارك نهر مارن

آخر تقهقر الحلفاء اول تقهقر الالمان

غرض الجيشين المحاربين — مواقفهما — خطأ الجنرال فون كلوك (قائد الميمنة الالمانية) في تقدير القوة الانكليزية — تضعضع الميمنة الالمانية — بلوغ ميسرة الحلفاء نهر آين — انتقاد القواد والجنود — — معركة نهر اورك — تقدم الانكليز

كان اليوم الثالث من سبتمبر آخر يوم لتقهقر الحلفاء من البلجيك وشمالي فرنسا . قال السر جون فرنش في تقريره الرسمي : وفي ٣ سبتمبر كان الجيش الانكليزي قد وقف في الموقف الذي اعده لنفسه بين لانيي وسينيي سينيه (جنوبي نهر مارن وعلى بعد ٢٠ ميلاً من باريس شرقاً) . وكان الجنرال جوفر قد طلب مني حتى ذلك اليوم ان احمي معابر النهر قدر ما استطيع وان انسف الكباري التي امامي . ثم طلب مني ان استأنف التقهقر الى مكان خلف المكان الذي كنت فيه ويبعد عنه ١٢ ميلاً قصد اتخاذ موقف آخر وراء نهر سين ففعلت. وفي غضون ذلك كان الاعداء قد نصبوا الكباري على نهر مارن وعبروه بقوة كبيرة وتهددوا مواقف الجيش الانكليزي والجيشين الخامس والتاسع الفرنسويين،

واخبر الطيارون المستطلعون ان الجيش الالماني الاول (الميمنة) اخذ يدور جنوباً بشرق بعد اذ كان يزحف جنوباً بغرب في جهة باريس. وكان غرض هذا الجيش منذ معركة مونس اكتناف ميسرة الحلفاء فتغير الان غرضه بدليل تحوله شرقاً بدلاً من استئناف الزحف نحو العاصمة . قال السر جون فرنش : وقابلت

القائد العام اجابة لطلبه فاخبرني بعزمه على التحول من الدفاع الى الهجوم حالاً وذلك بزحف الجيش السادس على نهر اورك وعبوره ومهاجمته للجيش الالماني الاول مجانبة.وكان هذا الجيش يزحف حينئذ شرقي نهر اورك في جهة الجنوب الشرقي . وطلب القائد العام مني ان اغير موقف جيشي بحيث تعتمد ميسرتي على نهر مارن وميمنتي على الجيش الفرنسوي الخامس وبذلك اسد الفرجة التي بين هذا الجيش والجيش السادس ثم ازحف على العدو من مقدمتي واشترك في حركة الهجوم العامة . وكانت الجنود الالمانية التي شوهدت تزحف جنوباً بسرق على ضفة نهر اورك اليسرى (الشرقية) في٤سبتمبرقد توقفت عن الزحف واتجهت نحو النهر . وطفقت الجيوش الالمانية تعبر نهر مارن عند شانجيس ولافرته ونوجان وشاتوتييري ومزي وتحتشد في مونميرايل . وقبل غروب الشمس رأى الطيارون معسكرات كبيرة للجنود الالمانية في جوار كولومبير وجنوبي ربيه ولافرته جوشه ودانيي

وجرى بعض القتال مع الجيش الفرنسوي الخامس فارتد من موقفه جنوبي نهر مارن نحو نهر سين . وفي ٦ سبتمبر بدأت معركة كبيرة على مقدمة تمتد من ارمنونفيل تجاه ميسرة الجيش الفرنسوي السادس مارة بليزي التي على نهر اورك الى موبرتوي في قلب الجيش الانكليزي ثم الى كورتيكون حيث ميسرة الجيش الخامس فاسترناي وشارلفيل حيث ميسرة الجيش التاسع الذي كان الجنرال فوش يقوده وهكذا حذاء مقدمة الجيوش التاسع والرابع والثالث حتى تنتهي الى مكان شمالي حصن فردان

كان الوقت عاملاً مهماً في الخطةالالمانيةوكان يقتضي تعطيل الجيش الفرنسوي كأداة القتال لا تشتيت شمله فقط لأن جيشاً يشتت شمله في ارضه جدير بان يجمع شمله في كل فرصة تسنح له . لذلك وضع الالمان خطة لترتيب جيشهم

خلاصتها ترقيق قلبه ما امكن ذلك وتكثيف جناحيه وتكون مهمة القلب الهاء الجيوش المتحالفة عن كثب وابقاءها لازمة مكانها ومهمة الجناحين الالتفاف حول جناحي تلك الجيوش والاحداق بها من كل جانب واضطرارها الى التسليم كما جرى في سيدان سنة ١٨٧٠ وعليه جعلوا بلاد اردان الوعرة مركز القلب وعمدوا بجناحيهم الى الهجوم الايمن بطريق البلجيك والايسر بطريق الزاس ولورين

وبينما كانت الميمنة في ١٦ اغسطس لا تزال تحاول فتح طريق لها في البلجيك . زحف الفيلق الفرنسوي الخامس عشر من لونيفيل حتى بلغ ساربرج وقطع سكة الحديد بين متس وستراسبرج وتهدد جناح الميسرة الالمانية ومؤخرتها . وفي ٢٢ منه هجم جيش الماني كبير يقال انه اربعة فيالق على الجنود الفرنسوية التي دخلت لورين فاخرجها منها بعد ما حملها خسارة كبيرة في الرجال والمدافع . وبذلك انقضى الهجوم الفرنسوي في الزاس ولورين بالفشل فنياً ولكنه دل على ان ليس للالمان قوة كبيرة جنوبي متس وحملهم على ارسال جيشين الى الزاس ولورين هما السادس والسابع . وبعبارة اخرى ان الالمان اضطروا ان يحولوا ميسرتهم كلها الى تينك الولايتين للهجوم ولكنهم وجدوا امامهم تلك العقبة الكؤود عقبة الحصون الفرنسوية العزيزة التي تجاهلوها في خطتهم

ان الاسباب الفنيّة الصرفة كانت تقضي على الالمان بارسال قوة كافية لصدّ تقدم الفرنسويين في لورين . فارسال قوة كبيرة لسحقهم في ساربرج افضى الى اضعاف الميسرة الالمانية في هجومها وعجز الالمان عن خرق الصف الفرنسوي امام لكسمبرج واخفاق فكرة الاحداق بالجيش الفرنسوي لحمله على التسليم جملة . اي ان الميسرة تحولت من الهجوم الى الدفاع حينما كانت الميمنة تضيع بعض ايام ثمينة امام لياج حتى اضطر الجيش ان ينبذ خطته القديمة ويستبدل

بها خطة جديدة في ساعة كان يسعى فيها الى نتيجة فاصلة

فالوا قبل الحرب ان المانيا تعبىء ٢٥ فيلقاً من خط الدفاع الاول و كل فيلق فرقتان . وقالوا ـ وصدقوا فيما قالوا ـ ان خمس القوات الالمانية يرسل الى روسيا حيث يلزم الدفاع في حين ان ١٠٠ فرقة المانية و٣٦ فرقة ايطالية تجرف امامها الفرق التي تستطيع فرنسا تعبئتها من خطي الدفاع الاول والثاني وعدتها ٩٠ الى ١٠٠ . على ان وقوف ايطاليا على الحياد ونزول انكلترا والبلجيك الى الميدان في جانب المحالفة الثنائية جعلا الفريقين المتحاربين متكافئين تقريباً . ولما كانت المانيا ترمي من اول الامر الى كسب الوقت وتوفيره بدأت التعبئة سراً قبل خصومها . والمرجح انها عبأت حتى ٢٢ اغسطس ١٠٠ فرقة مقابل ٧٥ فرقة عبأتها فرنسا وانكلترا والبلجيك معاً . وبعد ذلك باسبوعين بلغ عدد فرق الحلفاء (فرنسا وانكلترا والبلجيك) ٩٥ ونقصت الفرق الالمانية في الميدان الغربي الى ٨٠ فرقة بسبب نقل الجنود الالمانية من الميدان الغربي الى الشرقي وترك حاميات كبيرة في البلجيك للمحافظة على خطوط المواصلات .فاذا حسبنا رجال الفرقة ٢٠ الفاً واضفنا اليهم اركان الحرب والفرسان وغيرهم من اتباع الجيوش كان عند الفرنسويين والانكليز اكثر من مليوني مقاتل وعند الالمان اقل من مليوني مقاتل قبل معارك نهر مارن وهم ممتدون على مقدمة طويلة طرفها الواحد باريس وطرفها الاخر بلفور مارة بفردان

قلنا انه انضح الحلفاء في ٤ سبتمبر ان الجيش الالماني الاول الذي طارد الانكليز من مونس حتى سواد باريس جنوباً بغرب انقلب فجأة ذات اليسار في جهة الجنوب الشرقي . وقد تضاربت الآراء في اسباب ذلك الانقلاب حين وقوعه ولكن اتضح الان ان سببه الاكبر نقل الجنود الالمانية من الميدان الغربي الى الشرقي . على ان تحول الجيش الالماني هذا ذات اليسار كان عملاً

موسوماً بالجرأة محفوفاً بالخطر لانه اضطر الجنرال فون كلوك ان يسير بجيشه حذاء مقدمة الجيش الفرنسوي الخامس والجيش الانكليزي فاستهدف بذلك لهجوم ذينك الجيشين عليه مجانبة . وكان كل شيء يتوقف الان على اي من الفريقين يبلغ غرضه اولاً .هل يستطيع قلب جيوش الحلفاء الوقوف في وجه الالمان المنتصرين بعد ما اضعف التقهقر عزيمته؟ وهل يستطيع الانكليز ان يشتركوا اشتراكاً فعالاً في الهجوم بعد ما ذاقوا الامرين من تعب التقهقر وخسارة الرجال ؟ واذا استطاعوا الهجوم بقوة هل يستطيع الالمان تحمل ذلك الهجوم بعدما عانوا من المشقات والاهوال؟ وظهر انه اذا قدر للحلفاء الفوز فان فوزهم لا يكون تاماً الا اذا استولى الجيش الفرنسوي السادس على سكة الحديد التي يستمد الالمان مؤونتهم وذخيرتهم بواسطتها

وتساءل الناس حينئذ اية نقطة يتخذها الالمان للهجوم؟ وظاهر انهم يتخذون اقرب نقطة من سلسلة الحصون الفرنسوية فاذا فازوا بمرامهم يتمكنون من دفع قلب الحلفاء وميسرتهم عن الجهات الجنوبية الغنية بمواردها ومصادرها وعن حلقة الحصون الخمسة المشهورة بلفور وابينال ولانجر وديجون وبزانسون وهي حصون بنيت خصيصاً لايواء الجيوش المهزومة . ويتمكنون ايضاً من فصل الحصون الفرنسوية التي على الحدود والجيوش الشرقية عن الجيش الاكبر . ومن اخذ تلك الحصون.فيكون لهم بعد اخذها طريق اسهل واخصر الى المانيا حيث يستمدون حاجاتهم

ولكن خط نهر موز عزيز الحصون والاستحكامات والبلاد المجاورة له كثيرة الهضاب والحزون والمراعي والغابات . قليلة السكان والزاد وسكك الحديد . فتحول لذلك دون الاعمال الحربية الكبرى وتعوق حركات الجيوش الضخمة ولا يطمع في اختراق الخط الفرنسوي سوى الجيوش الضخمة

وغربي بلاد موز الوعرة سهل شمباني بويليز وسهل شالون حيث المعسكر الفرنسوي الاكبر وطوله من الشمال الى الجنوب مئة ميل وعرضه ٤٠ ميلاً . وغربي سهل شمباني صعيد سيزان . وهذا الصعيد ينحدر على بعد ٥٠ ميلاً غرباً بجوار مو الى سهل باريس . وواسطة عقد الصعيد والسهل نهر مارن . ينبع من مكان قرب حصن لانجر ويجري شمالاً بين الهضاب والغابات الى سان ديزييه ثم شمالاً بغرب مخترقاً سهل شمباني ثم غرباً في صعيد سيزان قرب ابرناي وشاتوتييري ومو ويتحد بنهر سين جنوبي باريس. وفي جوار مو تجتمع به ثلاثة روافد (فروع) فرع اورك من الشمال وموران الكبير وموران الصغير من الشرق

وكان النصف الايمن من خط الحلفاء معتمداً على سلسلة الحصون والاستحكامات المتدة من بلفور الى فردان . والنصف الايسر ممتداً من فردان ووعور بلاد ارجون وموز الى باريس. وعليه كان الجناحان آمنين شر الاكتناف فلم يبق امام الالمان سوى السعي في خرق القلب مع تعرض ميمنتهم للهجوم عليها مجانبة . وكانت جنود الميمنة قد افرط في اجهاد نفسها وخسرت خسارة عظيمة مدة ثلاثة اسابيع حتى باتت على شفا الخور والاعياء . وتناوشتها المصاعب والهموم النواصب في امر خط مواصلاتها الممتد الى بروكسل على مسافة مئتي ميل . وكان الجيش كله موكلاً الان بانفاذ خطة حربية ينكرها اهل الفن من الالمان انفسهم — من فردريك الكبير الذي قال يجب على البروسيين قبل كل شيء ان ينيخوا بكلكلهم على جناح اعدائهم الى فون شليفن الذي قال ان الجهد الذي بذله البروسيون في معركة سادوا ضد النمسويين كان جهداً ضائعاً لانهم حاولوا اذ ذاك اختراق صفوفهم . ثم ان اختراق قلب الحلفاء في هذه الحالة بوجه خاص لا يكون فاصلاً بالضرورة اذ تبقى باريس من عن يمين الالمان وسلسلة حصون الحدود والجيوش الفرنسوية الشرقة من عن شمالهم . فضلاً عن ان خطوط

تقهقر الحلفاء عبر نهر سين كانت كلها مفتوحة فتستطيع جيوشهم ان تجمع شملها وراءها . ولكن انكسار الالمان يفضي الى السقوط الذي قال الجنرال فون برناردي عنه انه لا بد ان يعقب عجز المانيا عن ان تكون ذات السلطة العليا في العالمين . قال :

«ان الحلفاء يطيقون الخذلان في ميادين القتال . ولكن انكسار المانيا مرة واحدة في معركة واحدة كبيرة هو بمثابة سقوطها الاخير . فانها تقاتل وكل امة متمدنة تدعو الى الله بسقوطها وبتبديد المطامع الشاذة التي ساقت بها العالم الى الحرب . وقد قيل لنا ان جيش ولي العهد مرابط قرب شالون وهذا المكان موطن شؤم على كل اتلا (الغازي الشهير) او على نسله . ففي هذا السهل غلب اتلا على امره وفيه انبأ كثيرون بوقوع حرب عامة يوماً من الايام . والمكان كله مملوء بالتذكارات المجيدة لجيش فرنسا» انتهى

وقد جعل قواد الجيشين جنودهم موضع ثقتهم فقال ضباط الفرنسويين لرجالهم ان التقهقر من حدود البلجيك انما هو حركة فنيّة يراد بها كسب الوقت . وانّ خطة اركان الحرب بلغت الان طور النضج وان ساعة العمل الفاصل حانت . وفي ٦ سبتمبر اصدر الجنرال جوفر امراً يقول فيه: «أرى الواجب يقضي عليّ في هذه الساعة التي يتوقف خبر البلاد على المعركة التي ستبدأ فيها بان اذكركم كلكم ان الاوان الحاضر ليس اوان التلفت الى وراء بل أن جميع جهدنا يجب ان يفرغ في سبيل مهاجمة العدوّ وارجاعه من حيث اتى . فان الجيش الذي لا يستطيع التقدم فيما بعد يبذل مجهوده في الاحتفاظ بما كسب من الارض مهما كلفه ذلك ويفضل الموت على التسليم . ففي الاحوال الحاضرة لا يسمح باحجام او بتردّد»

وفي اليوم عينه اصدر الجنرال فرنش الامر الاتي الى جيشه :

«بعد سلسلة اعمال وتقهقرات مضنية جداً دعت اليها خطة الجيوش المتحالفة تقف الجنود الانكليزية اليوم الى جنب رفاقها الفرنسويين متأهبة للهجوم على العدوّ. وقد اخفق الالمان في محاولتهم حصر باريس فاضطروا ان يزحفوا شرقاً وجنوباً بشرق وفي نيتهم على ما يظهر مهاجمة الجيش الفرنسوي الخامس. فاذا فعلوا ذلك استهدفوا لهجوم الجيش الفرنسوي السادس والجيش الانكليزي عليهم مجانبة وعلى خطوط مواصلاتهم

فاطلب من الجيش الانكليزي الموجود في فرنسا ان يظهر الان قوته للعدو وان يشترك مع الجيش الفرنسوي السادس في الهجوم الشديد

وانا موقن اني لا اطلب ما اطلب من الجنود عبثاً بل انهم بالضدّ من ذلك يظهرون شيئاً من الحميّة العالية التي اظهروها في الاسبوعين الماضيين فينقضون على العدو مجانبة بجميع قوتهم ويرجعونه الى وراء بمساعدة حلفائهم»

وعند دخول الفرنسويين منصورين الى فتري لفرنسوا وجد في المنزل الذي كان اركان حرب الفيلق الالماني الثامن يقيمون فيه الامر الاتي بامضاء قائد الفيلق وهو :

«فتري لفرنسوا في ٧ سبتمبر س ١٠ ودق ٣٠ مساءً. لقد بلغنا غاية سيرنا الطويل الشاق اذ اكرهنا الجيش الفرنسوي الاكبر على الوقوف لقتالنا بعد تقهقره المستمر. ولا ريب ان الحكم العظيم قريب. وعليه سيقف الجيش الالماني كله وفيلقنا في الجملة للقتال غداً على طول الخط من باريس الى فردان. ولحفظ مصلحة المانيا وشرفها سليمين من الاذى اومل ان كل ضابط وجنديّ يعملون الواجب عليهم بلا تردد الى النّفس الاخير وذلك رغم ما ابدوا من البسالة والصبر على المحن في الايام الاخيرة. وكل شيء يتوقف على نتيجة الغد»

وفي صباح اليوم السادس من سبتمبر كان الجيشان الفرنسويان الاول والثاني

المعتمدان على خط بلفور وفردان مواجهين للجيش الالماني السابع بقيادة الجنرال فون هيرنجن والسادس بقيادة ولي عهد بفاريا في الزاس ولورين . وكان طرف الجيوش الفرنسوية الاقصى لا يزال متشبثاً بزاوية من زوايا الزاس وقلبهم معتصماً بمركز نسي وميسرة الجيش الثاني واقفة شرقي فردان وشماليها

وفي خلال معارك مارن هاجم الجيشان الالمانيان المذكوران الجيشين الفرنسويين المقابلين لهما وكان الهجوم على اشدّه في نسي . فان بين حصني تول وابينال فرجة واسعة لم تحصّن وكان غرض الالمان من الهجوم على نسي اختراق تلك الفرجة والوقوف وراء الجيش الفرنسوي الاكبر فاذا انتصروا في سهل شالون تمكنوا من فصل الجيشين الثاني والثالث وجزء من الرابع وخط فردان وتول بحامياته عن بقية الجيش الفرنسوي

وكان الجيش الفرنسوي الثالث الذي يقوده الجنرال سارايل مرتكزاً على فردان وهضاب بلاد موز وميمنته ممتدة الى نقطة شمالي فردان وميسرته الى بارلدوك . فكان بذلك متجهاً غرباً وظهره الى ظهر الجيش الفرنسوي الثاني . اما الجيش الالماني الثالث الذي يقوده ولي عهد المانيا فكان قد اخترق لكسمبرج ثم مال جنوباً ماراً في بلاد ارجون ووقف الان مقابل الجيش الفرنسوي الثالث يتحفز لمهاجمته وغرضه اختراق خط فردان وتول عند حصن ترويون وبذلك يكمل حصر فردان من جميع الجهات

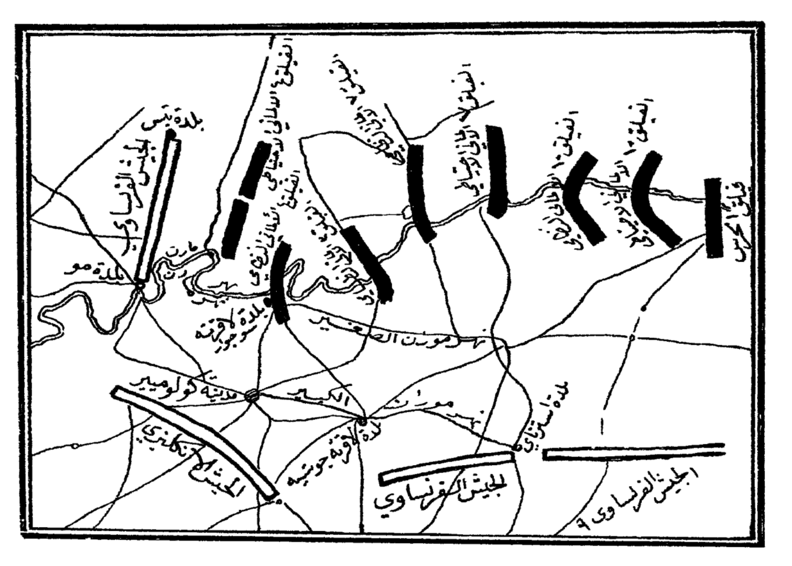
وكان الجيش الفرنسوي الرابع الذي بقيادة الجنرال دي لانجل مرابطاً جنوبي فتري لفرنسوا ومستقبلاً الشمال وممتداً في سهل شالون من طرف الى طرف وفي وجهه الجيش الالماني الرابع الذي يقوده امير ورتمبرج

اما الجيش الالماني الثالث وهو الجيش السكسوني الذي يقوده الجنرال فون هوسن فالظاهر انه خفض كثيراً لان معظمه نقل الى الميدان الشرقي

بذلك بات خط الالمان في هذه الناحية رقيقاً شفافاً . فلتكثيفه وسد فرجه مال الجيش الالماني الثاني الذي يقوده الجنرال فون بولوف ذات اليسار قليلاً ومال الجيش الاول الذي يقودهفون كلوك ذات اليسار ميلا كثيراً وهو على مقربة من باريس ليسدّ الثغرة التي احدثها ميل الجيش الثاني

وكان الجنرال جوفر قد جاء بالجيش التاسع الذي تألف حديثاً بقيادة الجترال فوش الى ما بين الجيشين الرابع والخامس تجاه الجيش الالماني الثاني . ووقف الجيش الفرنسوي الخامس الذي يقوده الجنرال دسبيراي عند الخط الممتد بين استرناي و كورتيكون . وتقدم الجيش السادس الذي يقوده الجنرال بو من شمالي باريس متجهاً الى الشرق وميمنته مرتكزة على نهرمارن قرب مو وميسرته ممتدة في جهة بتز . وكان هذان الجيشان يقابلان الجيش الالماني الاول (الميمنة) الذي يقوده الجنرال فون كلوك

وشرع هذا الجنرال في اعماله الحربية كأن لم يكن امامه غير الجيشين الفرنسويين المذكورين . فترك الفيلقين الاحتياطيين الثاني والرابع على ضفة نهر اورك الشرقية متجهين غرباً لصدّ الجيش الفرنسوي السادس وزحف بفيالقه الرابع والثالث والسابع على كولومير وربيه ولافرته جوشيه ونقط اخرى بينها وبين مونميرايل وغرضه الظاهر مهاجمة قلب الجيش الفرنسوي الخامس وميسرته . فقد كان بين الجيشين الفرنسويين الخامس والسادس فرجة فرأى الالمان ان يقفوا في وجه السادس ثم يلتفوا حول ميسرة الخامس ولكن جنودهم التي تقوم بحركة الالتفاف هذه تستهدف للهجوم عليها مجانبة من كل جيش يجيء في غضون هذه الحركه ليسدّ الفرجة التي بين الجيشين الفرنسويين . وواقع الامر ان الجيش الانكليزي المؤلف من خمس فرق وخمسة الوية للفرسان كان مستتراً وراء غابة كريسي بين فيلنيف ليكونت وجوي ليشاتو . ويستدلّ من ارسال



موقف الجيوش المتحاربة عند نهر مارن

الجنرال فون كلوك لفرقة الفرسان الثانية الى كولوميير وفرقة الفرسان التاسعة الى مكان غربي كريسي انه كان يظن ان تعرض الجيش الانكليزي لسير القتال بعيد الوقوع جداً . وكانت غايته من ارسالهما الى المكانين المذكورين مراقبة كل حركة عدائية تبدو من جهة الجنوب الغربي

ويقال اجمالاً ان المعركة بدأت منذ طفق الجيش الفرنسوي السادس يزحف شرقاً في جهة نهر اورك . وكانت الجنود الالمانية المواجهة له مؤلفة من الفيلق الثاني المشتمل على ثلاث فرق نظامية والفيلق الرابع المشتمل على فرقتين احتياطيتين . وكانت تحتل الصعيد الواقع شرقي نهر اورك ومعظم القرى الواقعة غربيه بصفة نقط امامية . اما الجيش الالماني السادس فكان مؤلفاً من ثلاث فرق نظامية واربع احتياطية وكان عليه اخذ القرى التي يحتلها الالمان غربي نهر اورك قبل مهاجمة موقفهم الاكبر عبر النهر . وكان الالمان كلما اضطروا الى اخلاء قرية اضرموا النار فيها ليؤخروا بذلك احتلال اعدائهم لها . واشتبكت الجيوش الفرنسوية الاخرى في معارك شديدة لم يربح احد الفريقان فيها شيئاً الا الجيش الفرنسوي الثالث فان ميمنته دفعت الى الجنوب تدريجاً حذاء هضاب موز

وفي هذا الحين اشترك الجيش الانكليزي في القتال . فانه كان مؤلفاً من ثلاثة فيالق الاول والثاني منها يشتملان على الفرق الاولى والثانية والخامسة التي قاتلت في مونس . اما الثالث فقد كان مشتملاً على الفرقة الرابعة التي اشتركت في القتال يوم ٢٦ اغسطس واللواء التاسع عشر وكان مؤلفاً من اورط مبثوثة على خطوط المواصلات فلما ظهر ان الالمان الواقفين بازاء الجيش الانكليزي في مونس اكثر كثيراً مما كان يظن استدعي هذا اللواء الى الميدان . وعليه كان مجموع الجيش الانكليزي خمس فرق من المشاة وخمسة الوية من الفرسان

خرجت هذه الفرق من معسكرها في فجر يوم الاحد السادس من سبتمبر زاحفة شمالاً بشرق ومخترقة غابة كريسي فدفعت امامها فرق الفرسان وطلائع حرس المشاة من الالمان . ولم يأت الليل حتى كانت قد احتلت خط دانيي وكولومبير ومايزون . قال الجنرال فرنس : ولعل الاعداء شعروا نحو ظهر السادس من سبتمبر بالخطر الشديد الذي يتهدد جانب جيوشهم السائرة جنوباً بشرق» . وبقي الجيش الانكليزي يوم ٧ سبتمبر يدفع الالمان الذين امامه حتى اذا استولى الظلام كان قد بلغ خط نهر موران الكبير

ولما اضطر الالمان الى التقهقر انكشف الجانب الغربي من جنودهم المواجهة للجيش الفرنسوي الخامس فاضطرت هذه الى التقهقر ايضاً حتى اذا امسى المساء كان الجيش الفرنسوي الخامس قد بلغ نهر موران الكبير ايضاً بين استرناي ولافرته جوشيه . وفي ٧ سبتمبر اشتبك الجيشان الفرنسويان الخامس والسادس مع الالمان على جانبي الجيش الانكليزي . فقاوم الفيلقان الالمانيان الواقفان شرقي نهر اورك زحف الفرنسويين على ذلك النهر ولكن الجيش الفرنسوي السادس تقدم بعض الشيء وحمل الالمان خسارة كبيرة . ودفع الجيش الخامس الالمان الى خط نهر موران الكبير . وكان تقهقر الالمان الى خط هذا النهر شمالاً بشرق اول مرة تقهقروا فيها منذ مهاجمتهم للجيش الانكليزي في مونس

وكان القتال الى شرقي هذا الميدان شديداً ولكن بلا نتيجة تذكر سوى ان الالمان شددوا الحملات بجوار نسي تحت عيني امبراطورهم فصدوا بخسارة عظيمة . ولكن ميمنة الجيش الفرنسوي الثالث دفعت الى وراء فمكنت جيش ولي عهد المانيا من ضرب حصن ترويون . ويقال ان موباج سقطت في هذا اليوم عينه فارسلت الجنود التي كانت تحصرها لتعزيز جيوش الميدان

وفي ٨ سبتمبر اشتبك الجيش الفرنسوي السادس مع الالمان المرابطين على

نهر اورك وسالت الدماء انهاراً . وقاتل الانكليز متقدمين الى الخط الممتد من تريلبور على نهر مارن الى لاتريتوار على نهر موران الصغير فلقي الفيلق الاول مقاومة شديدة في لاتريتوار ولكنه اجلى الالمان عنهابعد ما حملهم خسارة جسيمة. وفعل الفيلقان الآخران فعل الفيلق الاول

اما الجيش الفرنسوي الخامس فهاجم الالمان هجوماً شديداً وبلغ خط نهر موران الصغير ولما كان جانب الجيش الالماني الثاني قد بات مكشوفاً اضطر ان يتقهقر فتقدمت ميسرة الجيش الفرنسوي التاسع وقلبه الى خط موران الصغير ايضاً

وفي ٩ سبتمبر رأى الالمان ان لا مناص لهم من التقهقر العام وعليه ثبتوا قدمهم في لافرتهسوجوار وعززوا جيشهم المرابط على نهر اورك وهاجموا الجيش السادس عدة هجمات شديدة ثم اخذوا «يسحبون» جناح ميمنتهم الغربي تحت ستار هذه المناورات . وكان الجيش الفرنسوي السادس قد احتل ضفة نهر اورك الغربية كلها . وتمكن الفيلق الانكليزي الثالث (ميسرة الجيش الانكليزي) من مدّ جسر عند لافرتهسوجوار ثم عبر النهر ليلاً عليه ومن نقطة قرب سانجيس غربيه . وتقدم الفيلقان الاول والثاني زاحفين على شاتو تييري حيث عبرا النهر واحتلا مكاناً يبعد عدة اميال عنه شمالاً ويكاد يفصل بين الالمان الذين على ضفة نهر اورك وميمنة الجيش الالماني الثاني . فلما رأى الالمان ذلك جعلوا يتقهقرون اجزاءً مبتدئين من ضفة النهر المذكور . وبلغت ميسرة الجيش الخامس جوار شاتو تييري بعد قتال شديد اضطر الالمان فيه ان يتقهقروا شمالي النهر

وفي هذا اليوم عينه نشر قائد الجيش الخامس على جنوده الامر الاتي بعد معركة مونميرايل :

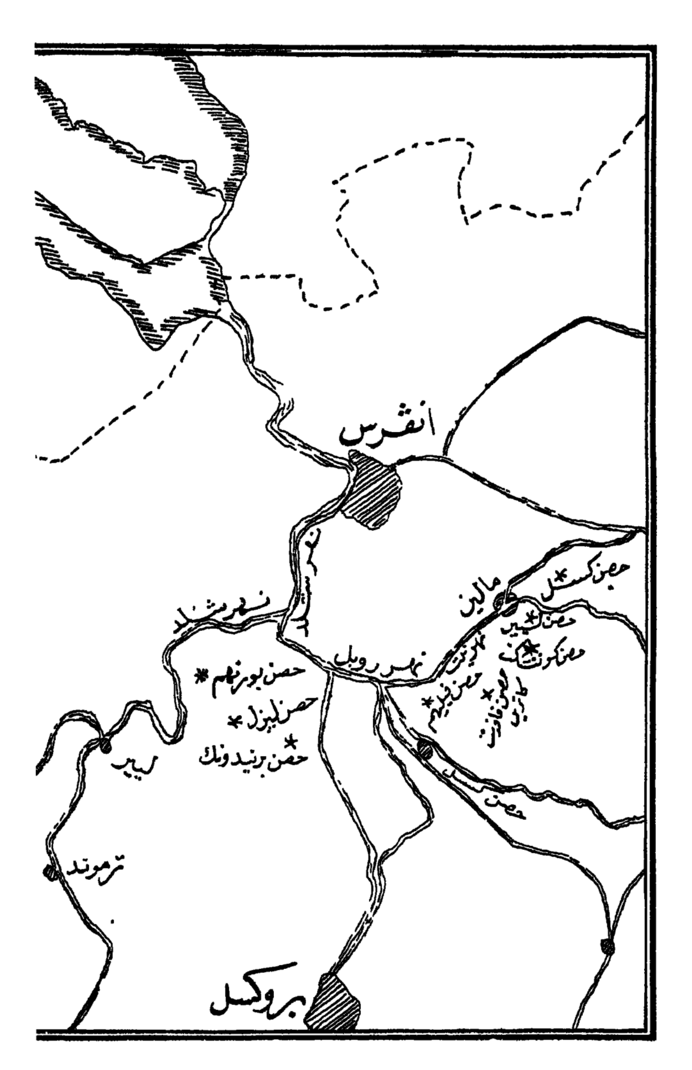
«ايها الجنود ـ في ساحات مونميرايل وفوشان وشانبوبير التي شاهدت منذقرن انتصارات آبائنا على جنود بلوخر البروسيّة غلبهجومكمالشديد دفاع الالمان. فان العدو بعد ما زحم من جانبيه وكسر قلبه جعل يتقهقر شرقاً وشمالاً وهو جادّ في السير . واشهر فيالق بروسيا القديمة ووستفاليا وهنوفر وبراندنبرج تتراجع امامكم مستعجلة

ليس هذا النصر الاول سوى تمهيد لما سيأتي بعد . ان العدوّ تزعزع ولكنه لم يكسر كسرة فاصلة . فلذلك ستتحملون مصاعب جمة وتقطعون مراحل شاقة وتقاتلون في معارك هائلة . فلتبق نصب عيونكم صورة بلادكم التي دنّسها البربر . ولم يمض وقت كانت في حاجة اشدّ الى عونكم منها اليه الان

واني بعد تحية الابطال الذي سقطوا في معارك الايام الماضية اوجه نظري اليكم انتم اهل النصر في المعركة القادمة . فالى الامام ايها الجنود في سبيل فرنسا»

وفي ١٠ سبتمبر طفق الجيش الالماني الاول يتقهقر مسرعاً فاضطر الجيش الثاني ان يحذو حذوه وكانت الامطار تنصبّ كما من افواه القرب حتى كاد المسير على الدروب يتعذر . وكان الالمان قد سبقوا فارسلوا مدافعهم الضخمة امامهم في مساء اليوم السابق . وقد دهش الحبيرون لتمكنهم من انقاذها مع شدة ضيق الوقت . واسر الحلفاء ستة آلاف جندي من الالمان وغنموا ١٥مدفعاً في يومي ١٠ و١٢ سبتمبر

وفي ١٢ منه بلغ الجيش الفرنسوي السادس والجيش الانكليزي ضفة نهر آين غربي سواسون وشرقيها يتبعهما الجيوش الفرنسوية ٥ و٩ و٤ و٣ . وكان الالمان فيالوقت نفسه قد اخلوا البلادالتي حول ننسي وعاد الفرنسويون فاحتلوا لونيفيل . وكانت نتيجة تقهقر الجيش الذي يقوده ولي العهد انقاذ حصن



خريطة انفرس وما حولها

ترويون وبالتالي انقاذ فردان نفسها اذ قد اتضح فيما بعد ان حصن ترويون كانت على شفا الهلاك فالحصن نفسه بات رجمة خراب وحاميته هلكت فلم يبق منها سوى ٤٤ رجلاً معهم ٤ مدافع . ولو وقع الحصن في ايدي الالمان لتمكنوا من حصر فردان وعزلها عن سائر الجيش والحصون . ولا يمضي الا القليل حتى تسقط في ايديهم فيأسرون حاميتها وهي كثيرة وتصبح مسئلة امداد جيوشهم بالزاد والذخيرة من ابسط المسائل لقرب فردان من حدودهم

الفصل الثلاثون

حصر انفرس وسقوطها

حصون انفرس — ارتداد الجيش البلجيكي على انفرس — خروجهُ منها لمهاجمة الالمان — اقتراح الالمان على البلجيك ورفض البلجيك له — ضرب الالمان لمالين — ضربهم لحصون انفرس — سقوط الحصون الخارجية — الحالة في المدينة — منشور الالمان — الامداد الانكليزية — سبب الحملة الانكليزية — تأخر الامداد — عبور الالمان للنهر — رحيل الحكومة البلجيكية — نجاة الجيش البلجيكي — ضرب المدينة — حال اهلها — النار والخراب فيها — تسليمها الرسمي

كانت انفرس محاطه بحلقتين من الحصون والاستحكامات الواحدة داخلية والثانيه خارجيه . ثم ان مركزها الطبيعي ـ البحر من جانب وثلاثة انهر من الجانب الاخر كان قميناً بمساعدة حصونها الصناعية على الدفاع عنها . اما حلقة الحصون الداخليه او القديمة فمؤلفة من حصون يبعد الواحد عن الاخر نحو كيلومترين ومتوسط بعد الحلقه عن سور المدينة نحو ثلاثة كيلومترات . وقد بني معظم الحصون سنة ١٨٦٩ وكان بناؤها محكماً يكفل مقاومة كل سلاح معروف في العهد الذي بنيت فيه اي منذ نصف قرن . واما الحلقة الخارجية او الجديدة فبني بعض

حصونها سنة ١٨٧٩ والبعض الاخر سنة ١٩١٣ وهي وخط الانهر كانت كافية لثبات امام اعظم المدافع التي أمكن استخدامها قبل الحرب الحاضرة في أعمال الميدان او الحصار . فلا بدع اذا قال الخبيرون بفنّ الحرب أن انفرس تعز على من رامها وتطول. ولكن المدافع الالمانية او النمسوية الضخمة التي ادخلت في هذه الحرب لم تكن في حسبان احد اذ ظهر ان الحصون الطبيعية والصناعية سواء امامها في الضعف وعدم دفع المقدور . فان متوسط بعد الانهر عن المدينة ٦ اميال ومرمى المدافع المشار اليها ٩ اميال ونصف فاذا تمكن العدو من نصبها على ضفة النهر القصوى من المدينة باتت المدينة تحت رحمته . فكل ما حال في الحقيقة بينه وبين اخذ المدينة انما هو مدافع الحصون الخارجية . وهذه المدافع لا تغني فتيلاً في وجه المدافع الضخمة

لما تراجع الجيش البلجيكي الى انفرس نقل عن ملك البلجيك قوله : يجب ان لا تكون اعمال الجيش من الان فصاعداً في الميدان الاّ نادراً. فان خسارته الهائلة في اوائل الحرب بين الجنود والضباط الذين اخذوا من أعرق أسر البلجيك واقدمها وقعت في نفسه عظيم الوقع فقرر بذل مجهوده لكي لا تتكرر تلك الخسارة . ولكن لما ذاع ان الجنرال فون بون يزحف جنوباً بقوته الكبيرة قر الرأي على خروج الجيش البلجيكي من انفرس للهجوم . فزحفت ميسرته من ترموند وليير واستعادت آلوست وتقدمت الى ارشوت . واستعادت الميمنة مالين وتوغلت الى ما بين لوفان وبروكسل . وكان القتال الذي جرى في الاسبوع التالي لهذا الزحف اشد قتال جرى في البلجيك وبلغت خسارة البلجيكيين مبلغاً هائلاً حتى كان في انفرس وحدها عند انقضاء الاسبوع ٨ آلاف جريح ما عدا الجرحى الذين ارسلوا غنت وبروج وغيرهما . ولكن خسارة الالمان كانت اعظم وظهر في حين من الاحيان انهم مضطرون الى اخلاء بروكسل حتى

عاد قسم كبير من جيش الجنرال فون بون ليساعد على دفع الخطر الذي كان يتهدد مركز الالمان في البلجيك . والمقول ان ظهور الجيش البلجيكي بمظهر القوة هذا هو الذي حمل امبراطور الالمان على الامر بمهاجمة انفرس حالاً

على انه قبل ان يأمر بمهاجمتها امر بمفاوضة ملك البلجيك مرة اخرى لعله يرضى هذه المرة بالحياد . ففتحت المفاوضات معه في انفرس واختار الالمان رسولاً بينهم وبينه رجلاً من اكابر البلجيك في بروكسل . فدعاه الجنرال فون درغولتز اليه وطلب منه ان يحمل الى الملك ووزرائه اقتراحاً فحواه ان الالمان يتعهدون بترك انفرس وشأنها دون ان يتعرضوا لها على شرط ان يبقى الجيش البلجيكي فيها ساكناً ويمتنع عن مس مواصلاتهم مع ميدان القتال الاكبر في فرنسا . فقبل الرسول ما عهد اليه فيه . وغني عن البيان ان رسالته اخفقت طبقاً لما كان ينتظر فاخذ الالمان يتأهبون لمهاجمة انفرس . قالت التيمس في تاريخ الحرب الذي تصدره تباعاً والذي عولنا عليه في بعض مادة هذا الكتاب :

«وليس من السهل فهم الخطة الحربية التي قضت بمهاجمة انفرس من غير ان نعد العدة لعزلها عمّا حولها اولاً او على القليل لقطع مواصلتها مع اوستند وزيبروج على الساحل . فانه ما دامت الدروب وسكك الحديد بين انفرس وبينهما سليمة فان السبيل يبقى مفتوحاً لمجيء النجدات وللتقهقر عن انفرس اذا اقتضى الامر . وسواء جهل الالمان في مبدأ الامر أهمية تلك المواصلات او خدعوا في مقدار الجنود المحافظة عليها (وهذا الاخير بعيد لكثرة جواسيسهم في البلجيك ونزيهم بزي قسيسين وجنود بلجيكية وسعاة بريد ونساء الخ) فانهم لم يحاولوا قطع الخط البلجيكي في مكان ما غربي ترموند . وهو امر شكر الحلفاء الله عليه فيما بعد»

ان الناظر الى خريطة انفرس الملحقة بهذا الجزء يرى ان انهرشلد وروبل ونيت

ترسم نصف دائرة حول الجزء الجنوبي والجنوبي الشرقي من المدينة على بعد نحو ستة اميال من سورها . وخارج خط الانهر عدة حصون كبيرة وصغيرة اهمها بورنهم وليزل وبريندونك وفيلهم وفافر سنت كاترين و كوننشكت ولير و كسل.وقد اختار الالمان هذه الحصون لهجومهم عليها مبتدئين يوم ٢٨ سبتمبر وكانوا في اليوم الذي قبله قد بلغوا مالين واخذوا يضربونها بمدافعهم . وفي ٢٨ سبتمبر صوبوا مدافعهم الى الحصنين الجنوبيين من انفرس وهما فيلهم وفافر سنت كاترين

ولا يعلم بالتحقيق عدد الجنود الالمانيه التي هاجمت انفرس بقيادة الجنرال فون بسلر . فقد روى مراسل التيمس الخاص وكان فى المدينه اثناء الحصار ان عددهم بلغ ١٢٥ الفاً . ولكن بعد سقوطها قال الالمان ان جنودهم فيها لم تزد على ٦٠ الفاً . ومهما يكن من ذلك فان تقديرهم بما قدرهم مراسل التيمس ليس فيه مبالغة على ما يرجح.ولكن العبرة ليس بعددالرجال بل بطراز المدافع ولم يكن في انفرس مدافع تقابل بمدافع هوتزر الالمانيه وعيارها ٢٨ سنتمتراً بل يقال ان مدافع الحصون الداخليه كانت من عيار ٤ بوصات وكان البارودالاسود يستعمل فيها

ضرب الالمان حصني فيلهم وسنت كاترين ضرباً شديداً يوم ٢٨ سبتمبر بليلته فجاوبتهم مدافعهما وبطريات الميدان بنار محكمة حامية ولكن ما عسى هذه المدافع ان تصنع بازاء مدافع اعظم منها؟فلذلك أسكت حصن سنت كاترين في ٢٩ سبتمبر فان المدافع الالمانية سحقت ابراج المدافع المصنوعه من الخرسانة والفولاذ ثم انفجر مخزن البارود فمات كثيرون من الحامية اختناقاً كما حدث في لياج

ومن هذا الحصن انتقل الالمان الى فيلهم ولير وخصوصاً الاول منهما .



هذه صورة الملك البرت ملك البلجيك الذي اعجبت
بحميتهِ وشهامتهِ الامم وهي تدل على تاثير الهموم
والاتعاب والاحزان فيهِ حتى اشبه وجهه وجه
الكهول وهو لا يزال في شرخ الشباب ومقتبل العمر

وكان خلف الاول منهما خزان الماء الذي تستقي المدينة منه فدمروه في اليوم التالي وكانت النتيجة اولاً ان الماء طغى منه على بعض خنادق البلجيكيين واغرق بعض مدافع الميدان وجعل نقل الزاد والميرة الى بعض الاستحكامات صعباً جداً. وثانياً ان الماء انقطع عن المدينة . فجعل الناس يستقون بالدلاء من الآبار الارتوازية التي فيها ولكنها لم تكن كافية . واشتد الخطر من شبوب النيران وتفشي الامراض الوافدة بسبب قلة الماء

وفي مساء ذلك اليوم (٣٠ سبتمبر) كان حصن فيلهم قد تضعضع ولكنه بقي يجاوب العدوّ يوم ١١ اكتوبر بطوله . ولما اضطرت بقية الحامية في المساء الى اخلاء الحصن اعملت فيه يد الخراب والتدمير حتى تركته اكواماً من التراب والفولاذ والخرسانة . وفي اليوم نفسه اسكت حصنا كوننشكت ولير بعد ضرب دام ثلاثة ايام بلا انقطاع

وقد اختلف في طراز المدافع التي استخدمها الالمان لضرب حصون انفرس. فقد قيل انه كان عندهم مدفعان او اكثر من عيار ٤٢ سنتمتراً جاؤوا بها من موباج بعد ضربها ولكن ليس هناك دليل قاطع على انهم استخدموا هذه المدافع حول انفرس . فان المدافع من عيار ٢٨ سنتمتراً التي استخدموها فتكت فتكاً خيل الى الذين شاهدوه لاول مرة انه فتك مدافع اكبرمنها وليس الامر كذلك. وهناك ادلة ثابتة على ان الالمان استخدموا المدافع من عيار ٢٨ سنتمتراً في ضرب حصون انفرس المذكورة . وكان مداها ١٢ كيلومتراً (٧ اميال ونصف) ولكنهم رأوا اثر بعضها على بعد ١٥ كيلومتراً و٢٠٠ متر (٩ اميال ونصف)من المكان الذي نصبت فيه وهذا مدى المدافع المذكورة فلا يبعد والحالة هذه ان يكونوا قد استخدموا مدافع بين الطرازين

وبعد سقوط الحصون الخارجية امسى موقف انفرس عديم الرجاء . وكان

خط نهر نيت لا يزال عقبة في وجه القوة المهاجمة ولا سيما ان القوة المدافعة احتشدت على ضفة النهر الداخلية بعد ما خربت الجسور المنصوبة عليه . ولكن الالمان لم يكونوا مضطرين في ضرب المدينة وسحقها ان يتقدموا بمدافعهم الضخمة الى اقرب من ميل او ميلين من النهر لعظم مدى مدافعهم كما تقدم القول

ولم يكن جمهور اهل المدينة يعلمون حرج الموقف فان مدافع الالمان كانت لا تزال بعيدة فلم يسمع دويها في المدينة الا نادراً في سكون الليل . اما في النهار فلم يسمع شيء . فلذلك شاعت اشاعات متناقضة لا حدّ لها . ولكن الصحف المحلية ما فتئت حتى الاخر تبدي تيمناً كثيراً بايعاز الحكومة . والدليل الوحيد الذي رآه الجمهور على قرب العدوّ هو قلة الماء ومرور السيّارات العسكرية في الاسواق رائحة جائية وحوم الطيارات بين موالية ومعادية في سماء المدينة . ففي ٢ اكتوبر طارت طيارة المانية فوق المدينة والقت منشورات كثيرة من قائد الجيش المهاجم الى الجنود البلجيكية المدافعة. واليك ما ورد فيها:

«بروكسل في ١ اكتوبر سنة ٩١٤

الى الجنود البلجيكية ـ لستم تعطون دماءكم وانفسكم لبلدكم المحبوب بل بالضدّ من ذلك انكم انما تخدمون مآرب روسيا التي لا مطلب لها الا زيادة قوتها الهائلة وتخدمون فوق ذلك كله مآرب انكلترا التي كان طمعها الاشعبي سبب هذه الحرب الجائرة حرب لم يأت الزمان بمثلها . وما زالت صحفكم التي رشاها الفرنسويون والانكليز تخدعكم من مبدأ الامر وتذيع بينكم الاكاذيب عن اصل هذه الحرب وسببها ومجراها . وها احد اوامركم العسكرية برهان جديد على صحة ما اقول فاسمعوا ما جاء فيه

يقول لكم ان رفاقكم الذين اخذوا اسرى الى المانيا يكرهون على مقاتلة الجنود الروسية الى جنب الجنود الالمانية. ولا ريب ان فطنتكم تحدثكم بان ذلك مستحيل.

وسيأتي يوم يطلق اسراكم من اسارهم ويعودون اليكم فيخبرونكم بما لقوا من حسن المعاملة عندنا . وان كلماتهم لسوف تحمر لها وجوهكم خجلاً من صحفكم وضباطكم الذين خدعوكم الى هذا الحدّ . كل يوم تستمرون فيه على المقاومة يعود عليكم بخسارة لا تعوّض . فاذا سلّمت انفرس كان تسليمها آخر رزاياكم

ايها الجنود البلجيكيون ـ لقد طال وقوفكم موقف المدافع عن امراء روسيا وارباب المال من الدولة الخائنة وحالكم موجب لليأس . فان المانيا التي تقاتل في سبيل كيانها قد أهلكت جيشين من الروس وليس اليوم روسيّ واحد في ارض المانيا . وفي فرنسا تقاتل جنودنا للتغلّب على آخر المساعي التي تبذل للمقاومة

فاذا شئتم ان تعودوا الى ازواجكم واولادكم واعمالكم . وبعبارة واحدة اذا شئتم ان يكون لكم سلام فكفّوا عن هذا القتال الذي لا فائدة منه الا خرابكم . وحينئذ تتمتعون ببركات سلم دائم تام

فون بسلر قائد جيش الحصار»

اما الدوائر الرسمية فكانت تعلم جلل الامر وعليه قر الرأي يوم ٢ اكتوبر ان تغادر الحكومة انفرس الى اوستند . فاعد قاربان بخاريان الواحد لها ولرجال الوكالات الاجنبية المختلفة ماعدا وكيلي انكلترا وفرنسا فانهما قررا ركوب القارب الاخر هما ومن شاء من اهل الجاليتين الانكليزية والفرنسوية. وكان المفهوم ان هذا يكون تمهيداً لتسليم المدينة . ولكن الحكومة عدلت عن هذا القرار في اليوم التالي وقررت الدفاع عن انفرس الى النهاية . فلم يترك المدينة الا القارب المعدّ للفرنسويين والانكليز من سكانها اما وكيلا انكلترا وفرنسا فبقيا فيها

وكان سبب تغيير هذا «البروجرام» ورود نبأ بان امداداً انكليزية قادمة في

الطريق للمساعدة على الدفاع . ولم يعلم اهل المدينة بما جرى ولكن قلوبهم دلتهم ان الموقف ذو خطر ومن هذا التأريخ جعلوا يهجرون المدينة الى غنت وبروج واوستند.اما الجنود وغيرهم ممن علموا بقرب مجيء الامداد الانكليزية فانتعشت قلوبهم ونشرت آمالهم بعدطيّها.وكان مجيء الامداد اجابةلطلب الحكومة البلجيكية بدليل البلاغ الرسمي الذي اصدره المستر تشرتشل وزير البحرية الانكليزية يقول فيه :

«اجابة لطلب الحكومة البلجيكية ارسلت الحكومة الانكليزية ثلاث فصائل بحرية وبعض المدافع البحرية الضخمة تحت قيادة الجنرال باريس للاشتراك في الدفاع عن انفرس مدة الاسبوع الاخير من حصرها» . ورافق الوزيرنفسه هذه الحملة البحرية وبقي في انفرس الى آخر الحصار تقريباً . وبعد سقوط انفرس وعدم نجاح هذه الحملة اكثر الكتاب من انتقاد الوزير وشددوا الحملة عليه ولا سيما ان عدداً كبيراً من تلك النجدة كان مؤلفاً من صغار الشبان الذين لم يمرنوا على القتال حتى ان بعضاً منهم لم يعرفوا كيف يطلقون البندقية فضلاً عن ان معداتهم كانت ناقصة من وجوه كثيرة . ولكن الوزير ردّ على منتقديه بقوله : ان هذه الفصائل اختيرت لأن الحاجة اليها شديدة ولانه لم يمكن الاستغناء عن جنود الميدان لاعمال الحصار . ولأنها كانت اقرب الى انفرس من غيرها فيمكن ارسالها بسرعة . ولأن تمرينها يساوي تمرين قسم كبير من الجيش المدافع في انفرس وتمرين العدوّ المهاجم نفسه»

وبعد بلوغ الجنرال باريس انفرس جعل هو وجنوده تحت امرة الجنرال ديجيز البلجيكي قائد الجيش المدافع . ووصلت الفصيلة الاولى من جنوده مساء ٣ اكتوبر فتهلّلت الوجوه بشراً وطفحت القلوب رجاء . ولكن لم يمض الا القليل حتى خاب كل رجاء اذ ظهر ان المساعدة الانكليزية جاءت بعد اوانها.

وقد اختلف فيما اذا كان عدد النجدة والمدافع التي معها كافياً لتقديم مساعدة تذكر ام لا . وقيل انه لو كان الرجال خمسة اضعاف ما كانوا وعدد المدافع عشرة اضعاف ما كان وارسلوا قبل الاوان الذي ارسلوا فيه باسبوعين لثبتت انفرس على الحصر الى اجل غير مسمى . وربما كان هذا القول صحيحاً . فقد اعلن وزير البحرية الانكليزية ان ارسال الفرقة البحرية الى انفرس ليس عملاً منفرداً قائماً بنفسه بل جزء من عمل اكبر منه يراد به انقاذ المدينة . ولكن اعتبارات اخرى اقوى منه حالت دون انفاذه»

وبقي كبار رجال العسكرية في انفرس يعتقدون حتى السادس من اكتوبر ان جنوداً انكليزية نظامية في الاكثر يبلغ مجموعها ١٣٥ الفاً قادمة لانجاد المدينة. ولا يعلم اية الجنود اختيرت لارسالها الى انفرس ولا ماهي الاعتبارات الاخرى القوية التي حالت دون ارسالها . وكل ما يعلم ان مجموع الجنود الانكليزية التي ارسلت لتعزيز حاميه انفرس بلغ ثمانية آلاف . اما المدافع فلا يعلم عددها وانما يعلم ان عدد الذي استخدم منها ستة فقط

قلنا ان الجنود البلجيكية في الجزء الجنوبي الشرقي من استحكامات المدينة تراجعت في ٢ اكتوبر الى ضفة نهر نيت اليمنى (الداخلية) . ولما كانت الحصون الخارجية قد اسكتت اقترب الالمان بمدافعهم نحو النهر وجعلوا يطلقونها على الخنادق القريبة منه . وبذلوا الجهد تحت حماية نارها في عبور النهر عند فيلهم فاخفقوا سعياً بعد ما خسروا هم والمدافعون خسارة كبيرة ثم تحولوا شرقاً الى ما بين حصني دفل وليير . واشتد القتال عند ليير ليلة ٤ اكتوبر ويوم ٥ منه بطوله . وقام الانكليز مقام البلجيكيين في بعض الخنادق الامامية . وكثرت خسارة جنود الخنادق من قنابل المدافع فاستقر الرأي على اخلائها مساء اكتوبر والارتداد منها على خنادق اخرى خلفها تبعدعنها بضع مئات من الامتار.وحاول

الالمان مراراً في تلك الليلة ان يعبروا النهر فردتهم نار البنادق المعتادة والبنادق المتعددة الطلقات . وبلغت جماعات صغيرة منهم الضفة اليمنى غير مرة فهلكت برصاص اعدائها ولم ترسخ اقدامهم هناك حتى صباح السادس من اكتوبر بعد ما اضطرت نارهم الحامية البلجيكية التي على يمين الجنود الانكليزية الى التقهقر فتقهقر الخط كله على اثر ذلك الى خط الحصون الداخلي

على ان هذا الخط لم يقو على الدفاع طويلاً في وجه مدافع الالمان . نعم انه كان يستطيع الثبات بضعة ايام بل اياماً كثيرة ويكلف الالمان خسارة جسيمة باسلاكه الشائكة وغيرها من العقبات ولكن ثباته هذه المدة انما هو تأجيل للمقدور لادفع له . وهذا التأجيل يستلزم اراقة دم كثير وربما استلزم تسليم الحامية كلها او جلّها وتخريب المدينة تخريباً تاماً . فلذلك قرّ رأي اهل الامر على عدم اطالة المقاومة الاّ ريثما يحمى تقهقر الحامية

وكانت التدابير قد اتخذت لرحيل الحكومة ووكالات الدول المتحالفة الى اوستند . ففي مساء ٦ اكتوبر ركب رجال الحكومة باخرةوبقية اعضاء الجاليتين الفرنسوية والانكليزية باخرة اخرى فسافرتا بهم صبيحة ٧ اكتوبر قاصدين اوستند . وشرع تلك الليلة في «سحب» الجنود من المدينة في جهة جسر الزوارق المنصوب على نهر شلد . وذلك لتواتر الاشاعات بقرب مجيء البقية من الامداد الانكليزية الموعودة وعددها ٣٥ الفاً كما تقدم . وساد الاعتقاد في الجيش بان سبب تأخر النجدة عن دخول المدينة هو انها تستعد لحركة اكتناف كبيرة تأخذ بها ميسرة الالمان على غرة . ومآل تلك الحركة الى عزل الجيش المحاصر عن سائر الجيوش الالمانية وسحقه بين حصون المدينة من داخل والجنود التي تهاجم من خارج . ولا يعلم هل كان في النية حقيقة اتيان هذه الحركة . وستبدي لنا الايام ما نجهله الان متى أميط اللثام عن اسرار هذه الحرب.وكل

ما يعلم بالتحقيق ان الدوائر العسكرية العالية في انفرس كانت تعتقد بهذه الحركة وربما حال دون انفاذها تلك الاعتبارات الاخرى القوية التي اشار اليها وزير بحرية انكلترا

وسواء كانت هذه الحركة منوية ام لم تكن فلا ريب انهم عدلوا عنها قبل سادس اكتوبر بدليل ان جلاء الجنود البلجيكية عن المدينة بدأ في ذلك اليوم. وقبل جلاء الجنود عطلت آلات ٣٠ باخرة المانية كبيرة كانت راسية في الميناء واضرمت النار في مستودعات الزيت غربي نهر شلد وفيها الشيء الكثير منه لان انفرس تعد مستودع زيت البلجيك وهولندا وشمالي فرنسا

ومما يجب ذكره في هذا المقام انصافاً للالمان ان الخراب لم يكن كله من عملهم فان البلجيكيين انفسهم هدموا عشرة آلاف بناء من انفرس في بقعة قطرها ٤٠ ميلاً استعداداً للدفاع . واحرقوا كذلك بعض القرى التي حولها

وشاع في انفرس يوم ٧ اكتوبر ان الالمان سيبدأون ضربها بالمدافع الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم . وكان الالمان قد طلبوا من الجنرال ديجيز في اليوم السابق تسليمها والاّ اطلقوا قنابلهم عليها فرفض طلبهم وقال انه يتحمل تبعة كل ما يحدث . وطلبوا ايضاً خريطة للمدينة تبيّن مواقع الابنية الاثرية القديمة والمستشفيات ليجتنبوها في اثناء ضرب المدينة فارسلت اليهم هذه الخريطة عن يد قنصل اميركا

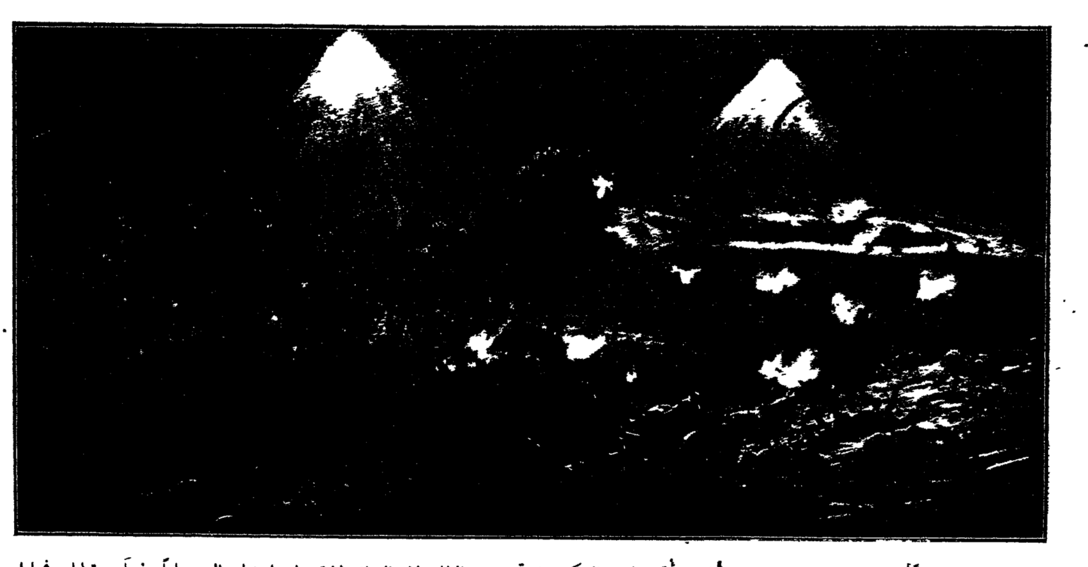
وكانت الصحف حتى ٦ اكتوبر دائبة في تشجيع سكان المدينة وشحذ عزائمهم. وصدرت مساء هذا اليوم عينه وفيها باحرف كبيرة «ان الحالة حسنة» واعربت عن املها ان يدفع الغزاة سريعاً الى ما وراء نهر نيت . فلما جاء سابع الشهر عادت لا تستطيع تجاهل حرج الحال فقالت احداها «مهما يكنّ المستقبل لنا فان امتنا سلكت سلوك الابطال حتى الان . فلنستعد لمقابلة الزمن الصعب الذي

امامنا . ولا ريب ان البلجيك تخرج منه اعظم مما كانت على شدة مرارته»

وكان اهل المدينة لا يزالون يهجرونها الى مدن الساحل وهولندا وكذلك الجنود . ولم يبدأ ضرب المدينة حتى نصف الليل من سابع اكتوبر . وكان معظم القنابل من الرشاشة مما دلّ على ان الالمان انما قصدوا بضرب المدينة القاء الرعب في قلوب سكانها وقتل من يستطيعون قتله منهم لا تدمير ابنيتها . ومن غريب ما يذكر انه لما بدأ ضرب المدينة كان لا يزال فيها نحو نصف مليون نسمة ولكن لم تغب شمس اليوم التالي (٨ اكتوبر) حتى لم يبق فيها سوى بضع مئات منهم .ويقال ان نحو مليون ونصف مليون من اهل البلجيك لجأوا الى مدن هولندا في اغسطس وسبتمبر واكتوبر . فان مدينة برجن اوبزوم وسكانها ١٦ الفاً غصّت بالمهاجرين اليها بعد سقوط انفرس حتى بلغوا ٣٠٠ الف في يومين او ثلاثة . واغرب من كلّ غريب انه مع توالي سقوط القنابل في المدينة وشدة زحام الناس في الاسواق طلباً للرحيل عنها لم تقع قنبلة واحدة بين جمهور من الجماهير المزدحمة

واستمر اطلاق القنابل يوم ٨ اكتوبر بطوله . وكلما دنا الالمان من المدينة جاوبتهم الحصون التي الى الجنوب والجنوب الشرقي بشدة وكانت الجنود الانكليزية والبلجيكية لا تزال تحتلّ الخنادق الامامية وهي على بعد ميلين من الحصون

جاء يوم ٩ اكتوبر ولم يبق بين الالمان ودخولهم المدينة سوى بعض المصطلحات الرسمية . وكان معظم الجنود الباقين في الخنادق قد انسلّوا منها ليلاً الى جسر الزوارق على نهر شلد مارّين بالمدينة . وفي الفجر اخذت جنود الحصون تخليها بعد ان نسفتها وعطلت المدافع التي لم تستطع اخذها والقت مقادير كثيرة من الذخيرة في نهر شلد . فلم تأت الساعة السابعة من صباح ذلك



بينما كان القتال دائراً على نهر الاين احس الالمان ان الزاد يأتي الجنود الانكليزية تحت جنح الظلام لان القوافل لا تستطيع احضاره اليهم نهاراً حذراً من قنابلهم فجعلوا يطلقون القنابل التي تنفجر وتضيء و يطلقون القنابل على مركبات الطعام فيحطمونها ويحرقون ما بها من الزاد و يقتلون دوابها حتى لا تصل الى العسكر كما ترى في هذه الصورة

اليوم حتى عبر النهر آخر جندي من حامية انفرس كما كان يظن حينئذ على جسر الزوارق ثم هدم الجسر.ولكن كان هدمه قبل الاوان كماسيجيء ونحو الساعة الثانية خرج المحافظ للقاء القائد الالماني وسليم المدينة اليه رسمياً . وعند الظهر دخل الالمان المدينة من باب مالين

. اما الضرر الذي اصاب انفرس من جراء ضربها بالمدافع فقد كان صغيراً بالنسبة الى غيره لان معظم القنابل التي ارسلت عليها كان من الرشّاشة التي لا تراد للتدمير كما تقدم القول . ولم تمس الكنيسة الكبرى ولا الابنية الاثرية الثمينة باذى . ولكن معظم الضرر وقع على منازل السكان في شارع ليوبولد وحي الاغنياء في طرف المدينة الشماليالشرقي

ولم يبلغ الالمان خط سكة الحديد في لو كرين حتى مساء التاسع من اكتوبر وذلك بفضل ما ابدت الجنود البلجيكية (من خيالة وراكبي دراجات وسيارات مدرعة وحاملة لمدافع المتراليوز) من المقاومة وكان معظم الجنود البلجيكية والانكليزية حينئذ قد مر غرباً . ولو ان القائد الالماني قطع سكة الحديد المشار اليها قبل قطعهلهاباربع وعشرينساعة لتمكنمناسرالجيش البلجيكيوالانكليزي كليهما او من دفعهما جملة الى هولندا

على ان الجيش الانكليزي لم ينج كله فان هجوم الالمان على لو كرين قطع الطريق على الفي رجل وضابط من رجاله فاضطروا ان يدخلوا ارض هولندا ويسلموا سلاحهم فيها . وفي رواية اخرى ان عدد الذين سلموا سلاحهم ١٥٦٠ وعدد الذين فقدوا ٩٦٧ منهم ٢٠٠ اخذوا اسرى الى المانيا . و٣٢ قتلوا و١٨٩ جرحوا . والمقول ان هذا كله نتيجة غلطة ارتكبت وهذه الغلطة هي ان بعض الجنود الذين كانوا يحتلون الخنادق أهملوا او ان الامر بتقهقرهملم يصلهمالبتة. فلما رأوا انهم أهملوا تقهقروا من تلقاء انفسهم وبلغوا ضفة نهر شلد بعد مصاعب

جمة ولكن الجسر كان قد هدم كما تقدم فركبوا زوارق وعبروا النهر ثم ركبوا قطاراً الى لوكرين حيث علموا ان الالمان استحوذوا على سكة الحديد فنزلوا من القطار وقصدوا حدود هولندا وجرى لهم هناك ما سبقت الاشارة اليه . اما الجنود التي دخلت هولندا وسلّمت سلاحها فبلغ عددها نحو ٢٠ الفاً . على ان نجاة معظم الجيش البلجيكي من الاسر افضى الى خيبة امل كثيرة في المانيا. ولا ريب ان القائد الالماني أضاع وقتاً ثميناً في احتلال المدينة والتظاهر بالابهة العقيمة في اسواقها الفارغة . فانه دخل انفرس ظهر ٩ اكتوبر ولم يحتل غنت حتى ١٢ منه وبروج حتى ١٥ منه . فتمكن الحلفاء بذلك من سحب جنودهم على مهل الى اوستند وتعزيز موقفهم على ضفاف نهر ايزر

الفصل الحادي والثلاثون

حوادث صغيرة بين الحوادث الكبيرة

تحصين باريس — بطرغراد مكان بطرسبرج — جلاء الفرنسويين عن اميان وكومبيان — انتقال الحكومة الفرنسوية من باريس الى بوردو — منشور لرئيس الجمهورية الفرنسوية — اخلاء الفرنسويين لمدينة روان — ميثاق الحلفاء — تحريم « الفوت بول » في انكلترا — خطاب اللورد روز بري

كتب كاتب يصف تحصين باريس فقال: كان يحمي باريس سنة ١٨٧٠-١٨٧١ حلقة من الحصون حامياتها من الحرس الوطني . ولم يكن فيها كفافها من الزاد والمؤونة ولكن التدابير الشديدة مكنتها من احتمال الحصار اربعة اشهر . وبعد سنة ١٨٧١ أضيف الى الحصون القديمة حلقة من الحصون الخارجية وعلى هذه الحلقة يتوقف الدفاع عن المدينة

اما الحلقة القديمة فتبدأ شمالاً عند سان دنيس حيث حصن لابريش والحصن الشمالي والحصن الشرقي وتمتدّ الى الحصون الآتية وهي دوبر فيلبير ومانفيل وبوازيه وروسنيه وتوجان وفنسان وشارنتون وايفري وبيستر ومونتروج وفانف ودبسيه ومون فالريان . ومحيط هذه الحصون ٣٤ ميلاً

واما الحلقة الجديدة فتجعل من باريس مقاطعة محصنة لانها تشتمل على انجين وارجنتيل وفرسايل وغابة سان جرمان وبوندي ومحيطها يزيد على ٨٠ ميلاً . اما الحصون فهي مبتدئين من الشمال : كورميل ومونلينيون ودومون ومونمورنسي واكوان وستان . وفي الشرق حصنا فوجور وشيل . وبين نهري مارن وسين حصون فلير وشامبنييه وسوسيه وفيلنوف سان جورج . وفي الجنوب حصن باليزو . وعلى التلال بين باليزو وشاتيلون بطريات كثيرة . وفي الغرب حصون فيلرا وهوبيك وسان سير وماريله وبطريات كثيرة

فاذا حصرت باريس بلغ طول خط الحصر مئة ميل . واذا شاء الالمان ان يجعلوا قوته كما كانت سنة ١٨٧٠ وجب عليهم ان يشغلوه بنصف مليون جندي. ولكن عدداً مثل هذا يضعف الجيوش الالمانية كثيراً فلو تمكنوا من حصرها هذه المرة لاختاروا فيما يرجح قسماً من حصونها لتوجيه حملاتهم اليه حتى اذا استولوا عليه تمكنوا من ضرب العاصمة وتصويب مدافعهم الضخمة الى الحصون التي يشاؤونها فتفعل بها ما فعلت بحصون لياج ونامور

ولزيادة التحوط اصدر الجنرال غاليني قومندان موقع باريس امراً الى جميع اصحاب الاملاك الواقعة ضمن دائرة ضرب النار حول الحصون القديمة والحديثة بان يهجروها ويخربوها وامهلهم لذلك اربعة ايام فان لم يفعلوا عهد الى الجند في تخريبها . وكانت النتيجة ان بقعة كانت تزدهي بعمرانها باتت في زمان قصير قاعاً صفصفاً كأن لم يكن فيها انيس ولا سمير

وفي مساء اول سبتمبر ظهرت طيارة المانية في جو باريس ورمت بعض قنابل فلم تضر ضرراً يذكر ولكنها القت الرعب في قلوب السكان اذ حسبوا صوت انفجارها دوي مدافع الالمان. ثم لم يلبث الذعر ان زال وعلى اثر ذلك ارسل السفير الاميركي تقريراً الى حكومته عن بعض الطرق التي يعمد اليها الالمان في حربهم من مثل القاء القنابل على غير المحاربين بلا تفريق ولا تمييز وقال ان هذه الطرق مخالفة لمبادىء المروءة ولعهدة لاهاي التي كانت المانيا في جملة الدول التي امضتها

واتخذت الحكومة الفرنسوية التدابير اللازمة لحماية تحف اللوفر من القنابل الهوائية . فوضعت صوره «فنيس دي ميلو» في غرفة من الفولاذ وكانت قد وضعت سنة ١٨٧٠ في قبو تحت الارض. ومثل ذلك صنعت بصور اخرى مثل «لا جوكوندا» والنصر المجنح» وغيرهما . وحولت الطبقات العليا من اللوفر مستشفيات تخفق عليها راية الصليب الاحمر

***

من اغرب مشاهد هذه الحرب تنبه روح الوطنيه فى الشرق والغرب على السواء . واعظم آثار ذلك التنبه بدا في روسيا . ففي اول سبتمبر اصدر القيصر امراً بان تدعى مدينة بطرسبرج فيما بعد بطرغراد. و«غراد» في لغة الصقالبة بمعنى «برج» في لغة الجرمان اي مدينه . فما اصدر هذا الامر حتى قابله العالم الصقلبي كله بابتهاج عظيم ومشوب بكره كل شيء جرماني . قالت التيمس في التعليق على هذا العمل : وان هذه الخطوة التي خطاها القيصر لهي بمثابة اعلان على رؤوس الامة الصقلبية بجميع فروعها وفصائلها ان قاعدة سياسته هي «روسيا للروس» مصفّاة من آخر شائبة من شوائب الخضوع لبرلين» . ولما اصدر منشوره الى البولونيين من اهل بروسيا الشرقية وبوزن وغاليشيا وبولندا الروسية سحق بضربة واحدة حجر الزاوية الذي قامت عليه صداقة روسيا والمانيا . فقد بدأت

تلك الصداقة بتقسيم بولندا وربّيت على ظلم بولندا واذلالها . وانتهت بوعد القيصر لها بنشرها من رمسها

**

رأى الفرنسويون في اواخر اغسطس انهم لا يستطيعون الاحتفاظ يبلدة اميان لان الميمنة الالمانية بلغت حينئذ مكاناً تهددت منه مواصلات الجيش الانكليزي بثغر هافر قاعدة اعماله فقرروا لذلك اخلاء وادي نهر صوم «وسحب» حامية اميان وعددها عشرة آلاف معظمهم من الاحتياطي فاخلت الحامية المدينة متجهة غرباً ونسفت الجسرين اللذين على نهر صوم . وما كادوا يفعلون حتى دخلتها طائفة من خيالة الأوهلان وطلبت من محافظها تسليمها ففعل وصدر الامر الى اهل المدينة بالاخلاد الى السكينة التامة وبالامتناع عن كل عمل في السر او الجهر ضد الجنود الالمانية وكل من يخالف هذا الامر يعاقب بالموت . ثم انزل الالمان الراية الفرنسوية عن دار المحافظة ورفعوا الراية الالمانية مكانها

كذلك رأى الفرنسويون ان لا بد لهم من الجلاء عن مدينة كومبيان وهي على بعد ٤٥ ميلاً من باريس شمالاً بشرق و٣٠ ميلا عن حصونها الخارجية . فجلت الجنود عنها وهجرها اهلها حتى لم يبق ديّار فيها

***

بينما كان العالم الصقلبي يقيم الاعياد في اول سبتمبر احتفالاً بتغيير اسم العاصمة الروسية كان الالمان يحتفلون في اليوم عينه بمرور ٤٤ سنة على معركة سيدان التي انتهت بسقوط نابليون الثالث وقيام الجمهورية الثالثة . اما باريس فلزمت تمام السكون ذاهبة مذهب من قال ان اليوم يوم العاملين لا القائلين. وكانت ثقة القوم بالمسيو بوانكاريه رئيس الجمهورية والجنرال غالييني قومندان موقع باريس بلا حد . وفي ٣ سبتمبر نشر الرئيس المنشور الاتي معلناً فيه عزم

الحكومة على الانتقال من باريس الى بوردو :

«ياشعب فرنسا ـ مضت عدة اسابيع والمعارك الشديدة قائمة بين جنودنا الابطال وجيش الاعداء . وقد أنيل جنودنا ببسالتهم مزايا ظاهرة في بعض الاماكن ولكن ضغط القوات الالمانية من الشمال اضطرنا الى التقهقر فاضطر رئيس الجمهورية والحكومة الى قرار مؤلم . وهو ان واجب السلطة العامة يقضي عليها بالانتقال وقتياً من مدينة باريس ليتسنّى لها السهر على خير الوطن ورفاهه . وسيدافع الجيش الفرنسوي عن العاصمة واهلها في وجه الغازي بقيادة رئيسه العظيم

على ان الحرب لا بدّ ان تستمر في سائر الامكنة بلا صلح ولا مهادنة ولا انقطاع ولا تردّد محافظة على شرف الامة وتعويضاً من حقها الذي انتهكت حرمته . اما جيوشنا فلم يهدّم شيء منها . واذا كان بعضها قد نالته خسارة جسيمة فقد سدّ نقصه حالاً من الاحتياطي

«الصبر والقتال» ـ هذا الشعار يجب ان يكون شعار الانكليز والروس والبلجيكيين والفرنسويين . فاصبروا وقاتلوا في حين ان معاونة الانكليز بحراً قطعت كل اتصال للعدوّ بالخارج . واصبروا وقاتلوا في حين ان الروس يديمون الزحف لضرب الضربة القاضية في قلب السلطنة الالمانية

ان واجب حكومة الجمهورية هو ان تدير زمام هذه المقاومة العنيدة . وحيثما يقم الفرنسويون ينهضوا للدفاع عن استقلالهم . ولكن لا غنى من ان تبقى الحكومة حرّة في العمل حتى نضمن اقصى العزيمة في هذا العراك الهائل . وعليه قر رأي الحكومة اجابة لطلب السلطة العسكرية على الانتقال وقتياً الى مكان تلامس منه جميع البلاد

وهي انما تغادر باريس بعد ان ضمنت الدفاع عنها بجميع الوسائل التي في

يدها . وتعلم ان لا حاجة بها ان توصي اهلها بالتزام العزم الساكن والجأش الرابط مما يظهرون كل يوم

يا شعب فرنسا ـ لنكن جديرين بهذه الاحوال الصعبة . اننا سنال النصر الاخير . وانما نناله بارادة غير متزعزعة وصبر وثبات

ان امة لا تريد ان تهلك ولا ترهب المصيبة والتضحية في سبيل الحياة ـ امة هذا شأنها لا بد ان يأتيها النصر مكرهاً او مختاراً»

وهكذا خرج الرئيس ووزراؤه من باريس وتلاهم اعضاء مجلس الشيوخ والنواب ورجال الادارة واحتياطي بنك فرنسا وقد كان لازماً للحكومةلزوم الميرة والذخيرة لقومندان موقع باريس . ولم يبق في العاصمة من السفارات الكبرى سوى سفارتي اميركا واسبانيا

ثم اصدر الجنرال غالييني هذا المنشور :

«يا جيش باريس ويا اهل باريس . ان رجال حكومة الجمهورية تركوا هذه المدينة ليعيروا الدفاع الوطني قوة جديدة . فقد صدر الي الامر بالدفاع عن باريس من غازيها . وسأنفذ هذا الامر الى النهاية»

وفي هذا اليوم عينه (٣ سبتمبر) كان الالمان قد بلغوا سويب وفيل سيرتورب وشاتوتييري واخذوا يستعدون لعبور نهر مارن عند لافرته سوجوار . وكان الحلفاء قد جعلوا روان منذ دخل الالمان فرنسا قاعدة مستشفياتهم العسكرية ولكنهم اخلوها يوم سافرت الحكومة من باريس الى بوردو . فجعل الانكليز يرسلون جرحاهم الى هافر والفرنسويون والبلجيكيون يرسلون جرحاهم الى اماكن اخرى

***

لا ادل على تضامن الحلفاء في غاياتهم وعزيتهم من الميثاق الذي امضاه في

وزارة الخارجية الانكليزيهبلندن وزيرالخارجية الانكليزيهوسفيرا فرنسا وروسيا في ٥ سبتمبر . وهذا نصه :

«ان الموقعين لهذا الميثاق بتفويض حكوماتهم يعلنون ماياتي:اتفقت الحكومات الانكليزية والفرنسويه والروسية ان لا تعقد احداهما صلحا في الحرب الحاضرة منفردة عن الاخرى . وانه اذا حان وقت التناقس في شروط لا يطلب احد الحلفاء شروطاً للصلح بلا موافقه الاخرين . واقراراً لذلك ختموا هذا الميثاق باختامهم . حرر في لندن في ٥ سبتمبر سنة ١٩١٤

ادورد جراي وزير خارجية الحكومه الانكليزية

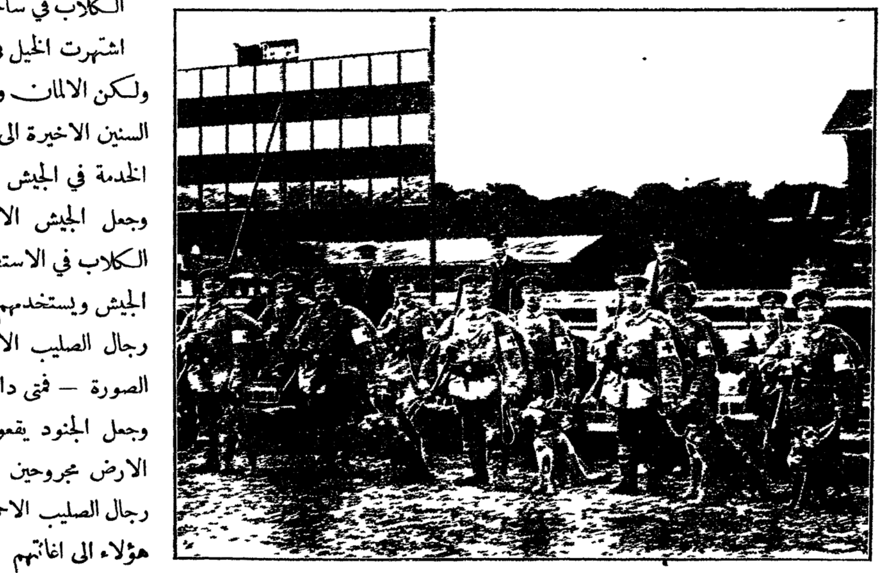
بول كمبون سفير فوق العادة ووزير مفوض للجمهوريه الفرنسوية

بنكندورف سفير فوق العادة ووزير مفوض لجلاله امبراطور روسيا»

***

قامت حرب قلميه في انكلترا على لعبة كرة القوم المسماه «فوت بول» وقال الكتاب انه قبيح من الشبان الانهماك بها في اثناء هذه الحرب الطاحنة بينما اخوانهم ومواطنوهم يسيرون افواجاً الى ميدان القتال للدفاع عن وطنهم . وانه خير لهم وابقى ان يحذوا حذوهم وينسجوا على منوالهم . وتفاقم هذه الحرب القلمية الى حد ان بعث بعض كبار المصلحين الدينيين بالرساله الاتيه الى ملك الانكليز :

«تذكرون جلالتكم ان اللورد روبرس قال حديثاً ان من العار الاستمرار على لعب «الفوت بول» في غضون هذه الحرب» . وقد علمت ان جمعية «الفوت بول» قررت ادامة اللعب رغم كل اعتراض . ان جلالتكم وضعتم نموذجاً للامة اذ ارسلتم نجليكم النبيلين الى ساحة الحرب . وملايين من رعاياكم المخلصين يهمهم ان يعلموا هل تريدون ان تبقوا تلك الجمعية تحت رعايتكم ؟»



الكلاب في ساحات الحرب

اشتهرت الخيل في حروب البشر ولكن الالمان وجهوا عنايتهم في السنين الاخيرة الى تعليم الكلاب الخدمة في الجيش فنجحوا في ذلك وجعل الجيش الالماني يستخدم الكلاب في الاستطلاع مع طلائع الجيش ويستخدمهم ايضاً في معاونة رجال الصليب الاحمر كما ترى في الصورة — فمتى دارت رحى القتال وجعل الجنود يقعون على وجه الارض مجروحين دلّت الكلاب رجال الصليب الاحمر عليهم فيسرع هؤلاء الى اغاثتهم

فجاءه الردّ الاتي من كبير امناء الملك :

«ان المسئلة التي ذكرتموها في رسالتكم الى الملك لقيت من العنايه والاحترام ما يستحقه كل رجل يتكلم وله ما لكم من الاختبار والدراية . وقد علمت ان جمعية «الفوت بول» خاطبت وزارة الحربية معربة عن ميلها الى الاشتراك في المساعي المبذولة لتجنيد الشبان في الجيش.وانه يصعب العدول عن جميع حفلات الفوت بول بسبب ما هناك من العقود والاتفاقات مع بعض اللاعبين الذين اتخذوا هذه اللعبة حرفة لهم . ولكن اعمال الجمعية تراقب بمزيد العناية لان الجمعية تحت رعاية الملك»

*
* *

خطب لورد روزبري من رؤساء الوزارة الانكليزية سابقاً واخطب خطيب في انكلترا حالاً فقال : هذه الحرب اعظم حرب رآها الناس . فلقد سميت معركة ليبسك التي حارب فيها روسيا والنمسا وبروسيا الامبراطور نابوليون وسحقته «معركة الامم» . ولكنها لم تكن معركة الامم بل معركة الجيوش الكبيرة . وقد أبقي هذا الاسم لهذه الحرب . فان كل رجل يستطيع حمل السلاح في جميع بلاد اوربا الكبرى ما عدا ايطاليا يحمل السلاح الان . اما نحن فلسنا كذلك . فاننا لم ندخل الخدمه العسكريه الالزاميه ةولا طلبنا من كل رجل ان يحمل السلاح دفاعاً عن بلاده . ولكن يجب ان تذكروا ان القانون الانكليزي يقضي على كل رجل قادر على حمل السلاح بان يلبّي بلاده ويقوم بنصرها اذا دعته الى ذلك

لا تخطئوا ـ اننا سنربح . نحن نحارب وظهورنا الى الحائط خلفنا لنحول دون عار وانكسار لم تتحملهما انكلترا قبلاً ولا تنوي تحملهما الان . لا بد من ان

نربح لان امة مثل امتنا وسلطنة مثل سلطنتنا لا يمكن ابادتهما بحرب مثل هذه. اننا سنربح لان قومنا متحدون اتحاداً لم يسبق له شبيه . اننا سنربح لان املاكنا وسلطناتنا خارج هذه الجزر تتبارى دماً ومالاً ويا له من تنافس جميل . اننا سنربح فوق هذا كله لان المبدأ الذي ندافع عنه سامٍ ونقيّ وعادل»

الفصل الثاني والثلاثون
معارك نهر آين

وقوف الالمان بعد التقهقر من نهر مارن — الحالة على ضفاف نهر آين — خلل الخطط الالمانية — عبور نهر آين — مواقف الفرق الانكليزية — تقدم الفرنسويين — خطة الحلفاء — مقدمة الجيش الالماني — تأثير سقوط موباج — كرّات الالمان الشديدة — جحيم الخنادق — معركة آين ودروس منشوريا — الامداد الالمانية — الخط الثاني — الالمان عبر نهر موز — غايتهم — تهديد فردان — عناد الجنرال جوفر — ضرب ريمس — الخسارة الهائلة — زحف الجيش الانكليزي الى الشمال خلسة — النتائج العسكرية والادبية — مزية الالمان الظاهرية — ثمنها الباهظ — نتائج معركة مارن — ايقاف سيل الغزوة التوتونية

ان موافقة امبراطور المانيا على نقل بعض الجنود الالمانية من الميدان الغربي الى الشرقي قبل حصوله على نتيجة فاصلة في فرنسا دليل على ان اركان حرب الجيش الالماني قدروا في خططهم احتمال فشل جيشهم واتخذوا الحيطة لايواء رجالهم المخذولة ريثما يفاجئون اعداءهم بالمفاجآت الكثيرة التي اعدوها في سني السلم الطويلة . فقد عرف من زمان طويل ان عند المانيا من الرجال الاقوياء غير المدربين على فنون القتال قدر ما عندها من الرجال المدربين . اما الذي لم يعرف ولم يدخل في حساب الخبيرين الحربيين فهو انها تقدم في حروبها على استخدام

جيوش غفيرة من غير المدربين بعد ان تدربهم في شهرين من الزمان تدريباً كافياً لتنظيمهم فرقاً وفيالق وتجد لهم من يلزمهم من الضباط وما يلزمهم من المدافع والميرة والذخيرة وسائر ما هنالك

وهذا هو ما عملته المانيا سراً . فان جيوشها تقهقرت من ضفاف نهر مارن الى موقف معدّ من قبل لتكسب الوقت الكافي لانزال الجنود غير المدربة الى الميدان ومعاودة الهجوم والزحف بهم على باريس . وهذا الموقف من اعز المواقف بين جبال اورال (حدود اوربا الشرقية) وبحر بسكي (غربي فرنسا) وهو ممتد من شمالي فردان غرباً ومارّ بغابة ارجون وسهل شمباني وريمس حيث ينحرف شمالاً بغرب ويشتمل على حصون بومبل ونوجان لاييس وبرو وبريمون ثم يجتاز نهر آين قرب التقائه بنهر سويب الى ان يصل كراوون ومنها يسير غرباً على محاذاة نهر آين الى غابة لايجل شمالي كومبيان

ويمكن قسمه الموقف ثلاثة اقسام : شرقي ومتوسط وغربي . اما الاول والثاني فواقعان في بلاد موز وارجون ذات الغابات وسهل شمباني بويلوز . واما الثالث فيمتد من عند كراوون الى كومبيان ويبعد ثلاثة اميال عن نهر آين شمالاً الى خمسة اميال وهو جبليّ ذو اسناد قليلة التحدر جنوباً تنتهي عند حد يبعد ميلاً او ميلين عن النهر ثم يزداد تحدرها مسافة ٣٠٠ قدم او ٤٠٠ الى ان تبلغ المروج الواقعة على ضفة النهر . وقد حفر الالمان الخنادق وراء رؤوس المرتفعات التي تملأ الاسناد لان حفرهم اياها على الرؤوس نفسها يعرّضهم لنيران الحلفاء من تحت فباتت نار خنادق الالمان بذلك محصورة لضيق خط النظر . على انه اذا بلغ الحلفاء في هجومهم رؤوس المرتفعات المشار اليها اعترضتهم الاسلاك الشائكة واستهدفوا لنار قريبة هائلة من خنادق الالمان . فلذلك كان من الطبيعي ان يحفروا هم ايضاً الخنادق على اقرب ما يمكن من خنادق الالمان

وينحينوا الفرص للهجوم حتى باتت خنادق الفريقين في بعض المواضع ادنى من قاب قوسين وتجاذبا سلسلة كرّات وفرات هلك فيها كثير من الجانبين

اما الضفة الجنوبية من نهر آين وهي التي جعلها الجيش الفرنسوي والجيش الانكليزي قاعدة «لمهماتهما» ونصبا فيها مدافعهما الكبيرة فتشبه الضفة الشمالية في طبيعتها . فان بطن الوادي مرج بسيط يختلف عرضاً بين ٨٠٠ يرد و٣٠٠٠ ويجري فيه نهر آين متعرجاً الى الغرب ولا يزيد عرضه على ٧٠ يرداً وعمقه على ١٥ قدماً

قالت التيمس في كتاب تاريخ الحرب الذي تصدره والذي لخصنا منه هذا الفصل : وربّ سائل يسأل ما هو موضع الضعف في موقف الالمان هذا ؟ وجواباً على ذلك نقول ان الموقف عزيز جداً ولا ريب . واذا كان المدافعون (الالمان) مستبشرين وعندهم ما يكفيهم من «المهمات» فان الهجوم عليهم مواجهة يكلّف المهاجمين ثمناً غالياً جداً ويكون نجاحه مشكوكاً فيه . ولو كان الحلفاء يطلبون العجلة وكان لا سبيل امامهم غير السبيل المشار اليه (الهجوم مواجهة) لطرقوه مهما يكن الثمن غالياً . ولكن لما كان الوقت معهم او يظهر انهم معهم فانهم لا يلجأون الى الهجوم مواجهة الا بقدر ما يكفي لاكراه العدوّ على التزام مكانه بينما يحاولون اكتناف احد جناحيه . اما محاولة اكتناف جناحه الشرقي بطريق الزاس فانها تستلزم تسيير جيش ضخم على خط ضيق بين جبال فوج ونهر رين فيستهدف هذا الجيش للاخذ مجانبة من عبر النهر فضلاً عن ان الجبال المذكورة تفصل بينه وبين جيش الحلفاء الاكبر . وزد على ذلك ان حركة الالتفاف هذه طويلة بحيث يجد العدوّ متسعاً من الوقت لاحباطها . فهي والحالة هذه مقضيّ عليها بالفشل

بقي جناح العدوّ الغربي ووجه الضعف فيه هو ان الميمنة الالمانية معتمدة

في «مهماتها» على سكك الحديد الممتدة من ترنيبه الى آخن في المانيا بطريق نامور ولياج وانها (اي الميمنة) انما تستطيع حتى الان المحافظة على مواصلاتها لا اكثر ولا اقل.صحيح ان نهر واز يحمي الميمنة الالمانية الان كما حماها نهر اورك في معركة مارن ولكن نهر واز ليس حاجزاً حصيناً جداً

***

في ١١ سبتمبر كانت ميسرة الحلفاء تطارد الالمان المتقهقرين من ناحية نهر مارن .وفي فجر ذلك اليوم زحف الجيش الانكليزي من معسكره حذاء نهر اورك والجيش الفرنسوي السادس يتقدمه عن شماله والجيشان الخامس والتاسع ينبعانه عن يمينه . وفي ذلك اليوم عينه بلغت خيالة الانكليز خط نهر آين فألفت الالمان محتلين للروابي الواقعة جنوبي النهر

وفي اليوم التالي أعلن رسمياً ان الجيوش الالمانية (٣ و٤ و٥) جعلت تتقهقر من امام فتري‌لفرنسوا حذاء نهر سول ومن بلاد ارجون . وان الجيش البلجيكي خرج بقوة من انفرس وتهدد مواصلات الالمان شرقي‌بروكسل.واذاع الروس في الوقت نفسه انهم كسروا الجيش النمسوي الذي يقوده الجنرال اوفنبرج في روفاروسكا بغاليشيا كسرة كبيرة

هذا ولا ريب ان اركان حرب الجيش الفرنسوي تنفسوا الصعداء لما بلغهم نبأ تقهقر الجيشين الالمانيين الرابع والخامس . ذلك انه نيطت بهما كليهما مهمتان كبيرتان يعود نجاحهما بالضرر العظيم على الحلفاء . فقد انتدب الاول لخرق خط القتال في سهل شالون . والثاني لخرق خط الحصون الفرنسوية بيّن فردان وتول عند ترويون . اما خرق خط القتال فيفضي الى شطر جيش الحلفاء شطرين الواحد غربيّ والثاني شرقي . فالغربي يطارد الى ان يقضى عليه . والشرقي يدفع الى حصون الحدود فيما يرجح ثم يؤسر في حينه

واما خرق الحصون فلا يفضي الى عواقب وخيمة كخرق خط القتال ولكنه يمكن الالمان من حصر فردان بحامياتها والذين يضبطون من الجيشين الفرنسويين الثاني والثالث شمالي ترويون . فاذا سقطت فردان افضى سقوطها الى تقريب المواصلات بسكة الحديد بين الجيوش الالمانية وبلادها . ولكن فشل الجيش الالماني الاول شرقي باريس واضطراره الى التقهقر استلزما تراجع الجيوش التالية له من الثاني الى الخامس بالتتابع واكرها اركان حرب الجيش الالماني على العدول الى حين عما كان يضمر من خرق قلب الجيش الفرنسوي (في شالون) وخرق خط الحصون

وفي صباح ١٢ سبتمبر علمت فرقة الفرسان الانكليزية الاولى من الاستطلاع ان فصائل قوية من الالمان مرابطة عند مدينة براين وجسر براين والروابي التي وراءها ومعها المدافع. فهبّ الجنرال ألينبي حالاً لاجلاء الالمان من مراكزهم ولم ينتصف النهار حتى فاز بأربه وارتدّ الالمان شمالاً . وكان الجيش الفرنسوي السادس (على يسار الانكليز) يدنو من الهضاب الواقعة جنوبي نهر آين والجيش الفرنسوي الخامس قد بلغ خط نهر فسل

وفي اليوم التالي بلغت الفرقة الانكليزية الاولى فوسريه والثانية فوتين والثالثة برينل من غير ان تلقى مقاومة تذكر . ودنت الفرقة الخامسة من مسي ولكن نار الالمان اوقفتها عند هذا الحد . وبلغت الرابعة جوار بوزانسي حيث وجدت ميمنة الجيش الفرنسوي السادس تحاول اخراج الالمان من نقطة امامية احتلوها على مون دي باري جنوبي سواسون فاشتركت مع الميمنة وكانت النتيجة انهما اكرهتا الالمان على عبور النهر عند سواسون ثم اخربوا الجسور

على ان ما لقي الانكليز والفرنسويون من المقاومة الشديدة شرقي سواسون وغربيها حملهم على الاعتقاد بان الالمان ينوون ان يقاوموهم مقاومة عظيمة عند

شروعهم في عبور النهر . فقد قال السر جون فرنش في احد تقاريره : لم تكد معركة نهر مارن تنتهي بفرار العدو على عجل حتى وجدنا امامنا مركزاً فائقاً في مناعته وقد اعدت فيه الخنادق بدقة وهيّىء للدفاع على يد جيش واركان حرب من اهل الخبرة التامة بامثال هذه الاعمال»

ولكن عبور النهر لم يكن منه بدّ رغم مناعة موقف الالمان ورغم ما هنالك من المصاعب الاخرى . فقد كانت مياه النهر طامية من شدة المطر ولم يكن للحلفاء غنى من بناء الجسور للعبور وترميمها تحت نار صائبة كان الالمان يصلونها من الضفة المقابلة

وفي صباح ١٣ سبتمبر امر الجيش الانكليزي بالزحف لعبور النهر وقد قدر عدد الالمان المقاومين له بثلاثة فيالق . وجعل الفريقان يترامان بالقنابل ومهندسو الانكليز يمدون جسور القوارب بحماية نيران المدافع . وتقدم المشاة تحت وابل من النار والماء ففازوا بعبور النهر من نقط شتى . وفي اليوم التالي اعلن ان قلب الجيش الالماني اتخذ له موقفاً خلف ريمس وان الالمان في بلاد ارجون تراجعوا الى ما وراء غابة بلنو ونريوكور وانهم أخلوا جميع الاراضي الفرنسوية في جهة تنسي وجبال فوج

وفي ١٥ منه أعلن ان الالمان اتخذوا لهم موقفاً ممتداً من نوايون الى غابة فورج شمالي فردان ومارأ بسواسون وجبل لاوون والروابي الواقعة شمالي ريمس وشرقيها . فايقن الحلفاء اذ ذاك ان الالمان ينوون الوقوف للقتال هناك بعد ما عززوا جموعهم بالرجال والمدافع الضخمة التي جيء بها من موباج على اثر سقوطها . وقد فتكت هذه المدافع فتكاً ذريعاً بالحلفاء طول مدة القتال على نهر اين . ولم يستطيعوا الجواب عليها حتى بنوا جسوراً متينة تقوى على حمل المدافع الضخمة واستقدموا هذه المدافع

وفي ١٦ منه عزم السر جون فرنش ان يوجه ثلاثاً من فرقه لاخراج الالمان من مركزهم في شمان‌دي‌دام ولكنه وجد ان الجيش الفرنسوي الخامس الذي الى يمينه لا يستطيع مساعدته . وكان قد سمع من الجنرال جوفر ان الالمان ينوون الدفاع عن موقفهم بيأس شديد وانه عازم لذلك على محاولة اكتناف جناحهم الغربي بدل خرق خطهم وعليه شرع في تعزيز ميسرته . فاقلع السر جون فرنش عن عزمه المذكور آنفاً

وفي ١٨ منه ازدادت الحالة جلاءً وانقشعت عنها غيابات الشك والابهام فبان ان استحكامات الالمان التي اعدت من زمان طويل كانت على اقصى ما يتصور من العزة والمناعة حتى لقد قالوا مفاخرين انهم يستطيعون الثبات فيها ثلاثة اشهر اذا اضطرهم الامر الى ذلك . والحق يقال ان موقفهم هناك سلسلة حصون طبيعية من الروابي والغابات والمقالع يظاهرها في بعض الاماكن ثمانية صفوف او تسعة من الخنادق . ولما كان الفريقان متساويين عدداً على وجه التقريب لم يكن ينتظر ان احدهما ينال نتائج باتّة الاّ اذا عزز كثيراً او أضعف خصمه كثيراً

وفي ٢٢ منه فترت همة الالمان مما دلّ انهم اضطروا الى «سحب» قسم من جندهم هناك لتعزيز الجيش الذي يقاوم حركة الجنرال كستلنو الاكتنافية على الجناح الغربي . وكان فعل مدافع الالمان الضخمة قد وقع اشدّ وقع في نفس الجنرال فرنش حتى بعث يطلب اربع بطريات من مدافع هوتزر عيارها ٦ بوصات فارسلت اليه فوزعها على فيلقيه

وفي ٢٨ منه بلغ جهد الالمان زباه امام ريمس اذ ضربوها بالمدافع ضرباً لم يسبق له شبه في شدته . فاضطرمت النار في كثير من احيائها وتهدم كثير من منازلها وقتل كثير من اهلها . وجاءت انباء مثل هذه من سائر خط القتال حيث تداول الفريقان الكر والفرّ .

واستطرد الكاتب الى انتقاد اعمالهم الفريقين وحركاتهم فقال : ولم ينتصف اكتوبر حتى انعكس الحال على نهر آين وباتت الاعمال الحربية بلا جدوى من الجانبين لعظم مناعة الموقفين . فمن شهر كان الحلفاء هم الفريق المهاجم والالمان هم الفريق المدافع فامسى الان الاولون مدافعين والاخرون مهاجمين . وفي خلال ذلك افضت المساعي التي بذلها الفرنسويون للالتفاف حول الجناح الالماني الغربي الى امتداد القتال من جوار لاسنيي الى جهة ليل . وقد كان الالمان يبذلون اقصى الجهد في بادىء الامر لاحباط تلك المساعي ولم يمض وقت قصير حتى بات المكتنفون انفسهم لا الالمان في خطر من الاكتناف . وكان الالمان ينتظرون امداداً كبيرة من جماهير الذين لم يدربوا على فنون القتال الا قليلاً بعد وقوع الحرب فلما جاءتهم عادوا هم المتحكمين بمصير الامور والمتصرفين بزمامها كما كانوا في مبدأ الحرب

اما الانكليز وكان مكانهم من صفوف القتال على اقصى الميسرة في اول الحرب فقد وجدوا انفسهم الان حوالي القلب وخطوط مواصلاتهم متراجعة الى ساحل بسكي بطريق باريس .وعليه لم يكن هناك مناص من تقاطعها هي ومواصلات الجيوش الفرنسوية التي على يسارهم وفي ذلك ما فيه من المضايقة للفريقين . ولو عاد الانكليز الى مكانهم الاول من الصفوف لوجدوا انفسهم الان شرقي دنكرك وكاليه وبولون ولقصرت خطوط مواصلاتهم كثيراً بنقل قواعدهم الى الثغور المذكورة والى هافر ولامتنع التقاطع المشار اليه وما يجره من المضايقة. ثم ان لهم مصلحة خاصة في منع ثغور فرنسا الشمالية من الوقوع في ايدي الالمان لان هؤلاء يتخذونها قواعد لحملات الغواصات على سفن الحلفاء في البحور الضيقة . فلهذه الاسباب حلّت الجنود الفرنسوية تباعاً محل الجنود الانكليزية

في خنادق نهر آين وسارت الجنود الانكليزية الى جهات الساحل مقرّ اعمالهم الجديد

وقد كان عند الالمان في هذه الحرب عدد لا يحصى من البنادق المتعددة الطلقات وكانوا محتكري مدافع الحصار الضخمة فضلاً عما بذلوا من الحذق والعناية في اختيار مواقف القتال واعدادها ولكن طعام الجنود لم يكن كافياً. وكانوا يساقون كالغنم للذبح . نعم ان مواقف الفرنسويين والانكليز كانت اضعف من مواقفهم ومدافعهم الكبيرة اقل ولكن طعامهم كان احسن . وكان طعام الانكليز افضل بكثير من طعام الالمان والفرنسويين

اما من جهة المدافع فقد كانت مدافع الانكليز في معارك نهر آين اقل من مدافع الالمان بكثير فلذلك لم تكن كافية لحماية مشاتهم واستهدف هؤلاء لنار الالمان الحامية . فقصر الانكليز جهدهم على اسكات المدافع الالمانية . ولكن ما اتصف به الجنود الانكليز من الشجاعة والذكاء والاعتماد على النفس وحسن الرماية بالبندقية مكنهم من الهجوم متفرقين الى حدّ ينكره المذهب العسكري الالماني . وهذا وحده هو السبب في قلة خسارتهم النسبية

والظاهر ان الالمان يعتقدون ان اطلاق المدافع الذي يمهدون به كل هجوم يرومونه من شأنه ان يمزق اعصاب خصومهم ويجعلهم لقمة سائغة في حلوق الجموع الكثيفة التي حشدوها وظنوا انها تجتاح كل شيء امام هجماتها . فاذا قيل لنا ان هذه الهجمات اعظم نموذج على الطاعة العمياء وقوتها طأطأنا الروس مبالغة في الايمان والتأمين ولكننا ننكر هذا النظام لانه يشف عما يتخلله في نظرنا من رهبة وقسوة . وله جماهير من المعجبين به في كثير من البلاد ولكنه لن يجد صدى استحسان واعجاب بين الامم الانجلوسكسونية الحرة

ولم يبلغ الالمان مراماً واحداً رغم ما بذلوا من جهد وما ازهقوا من نفس.

فلم يردوا الانكليز في جهة من الجهات وما ذلك الا" لانهم افرطوا في تقدير قوة مدافعهم وفر"طوا في تقدير قوة البنادق الانكليزية

اما طريقتهم في الهجوم فعلى الضد مما تعلمته الجنود الانكليزية . فقد تعلمت هذه الجنود ان البنادق الحديثة في ايدي مشاة يحسنون الرماية ولا يتزعزعون من مواقفهم تجعل تقدم الجنود المرصوصة في ارض غير محميّة امراً مستحيلاً . وتعلمت ان البنادق القديمة في ايدي آبائهم لم تقصر مرة واحدة عن ضعضعة صفوف المشاة من نخبة جنود نابليون . ومع ذلك هجم الالمان في جموع كثيفة وصفوف مرصوصة في مونس وليكاتو ونهر مارن ونهر آين . وكان يخيّل الى الانكليز ان هجوماً مثل هذا هو اقصى حدود الحماقة فما بالك بالاصرار عليه بعد اراقة الكثير من دماء المهاجمين . والجندي الانكليزي من ماشٍ وفارس يطلق ١٥ طلقاً من بندقيته في التمرين على اهداف تتحرك في غير جهته ويصيب معظمها من غير ان ينزل بندقيته عن كتفه . فالجيش الالماني الذي يزحف في ارض مفتوحة غير محمية ويدنو حتى يصير على بعد ٦٠٠ يرد من المشاة الانكليز لا بد" ان يطلق عليه ١٠ طلقات في الدقيقة على القليل من كل بندقية.هذا اولاً وثانياً ان عدد الاصابات على اهداف تتحرك في جهة الطلقات هو اكثر كثيراً مما يكون عادة في ميادين التمرين حيث الاهداف تتحرك ذهاباً كما تقدم . فلا مبالغة اذا قلنا ان هذين الامرين يورثان الجيش الزاحف الدمار والفناء

ولا ينكر ان الالمان استردوا زمام سير القتال بعد ما فقدوه . فان من اعظم اغراض الخطط الحربية الاحتفاظ بذلك الزمام او استرداده بعد فقده . ولابد" من الاعتراف بان الالمان هم الذين استردوه والحلفاء هم الذين فقدوه . ولكن هذه المزية ظاهرية اكثر منها باطنية . فان الغرض الاعظم الذي كان نصب عيون الحلفاء على الدوام هو صد" الالمان عن الزحف لانهاك قوتهم ولكسب الوقت

وبذلك يتمكنون هم وحلفاؤهم الروس بوجه خاص من زيادة قوتهم وتتمكن اساطيلهم من اتمام مهمتها البطيئة القاتلة . وليس للحلفاء في فرنسا قوة كافية لبلوغ نتائج فاصلة ولا هم يؤملون دفع الالمان كثيراً الى الوراء الان . لذلك تراهم لا يبالون أدفع الالمان الى الوراء قليلاً ام كثيراً. وعندهم ان اجتناب كسرة كبيرة هو اهم من ان ينتصروا انتصاراً غير فاصل وهذا جهد ما يرجونه الان.

وقد بلغت خسارة الانكليز في الخمسة الاسابيع الاولى من الحرب نحو ١٥ الفاً بينهم ١٢٠٠ ضابط من قتيل وجريح ومفقود ما عدا المرضى. اي ان خسارة الضباط في الخمس الفرق الاولى بلغت نحو نصف الذين ساروا الى ساحة الحرب. وبلغ مجموع خسارتهم من اول الحرب الى آخر معارك آين ٣٣ الفاً ولكن خسارة الالمان الذين قاتلوهم في تلك المدة بلغت ثلاثة اضعاف خسارتهم . ومما لا ريب فيه ان خسارة الالمان وخصوصاً خسارة الضباط كانت اعظم من خسارة الفرنسويين مع مراعاة النسبة واعظم بكثير من خسارة الانكليز. وذلك لاسباب كثيرة منها انهم كانوا المهاجمين في غالب الاحيان . ومنها اسرافهم في الارواح وعدم تمكنهم من وضع جنود مدربة مكان الجنود التي فقدوها في الحرب

وواقع الامر ان النصر الذي حازه الحلفاء في نهر مارن انما نتيجته دفع الخصم المقهور الى قلعة . وما يأتونه من الاعمال بعد ذلك يكون لمضاعفة نطاق الفولاذ التي ضربوه حوله . فاذا تم لهم ذلك فقد قضي عليه قضاءً مبرماً . ولا رجاء له في النجاة الا من خارج . ولا ريب ان معركة مارن كانت فاصلة لان قتال الشهرين اللذين اتيا بعدها اتم اقامة سور حول المانيا والنمسا . فاملهما الوحيد ان تقوم دولة او عدة دول محايدة لرفع الحصار عنهما وتكون قادرة على ذلك. فلا نصر على روسيا يخلص المانيا لان روسيا تستطيع التقهقر الى ساحل الباسيفيك من غير ان تعرّض احد مقاتلها للخطر وليس في المانيا قدرة على اللحاق بها

فمعركة نهر مارن صدت سيل الغزوة التوتونية ومعركتا آين وفلاندرس ايّدتا هذا الحكم . ولا همّ للحلفاء الان سوى كسب الوقت وانهاك قوة العدو وبكلمة اخرى حصره . وقد فازوا بهذا المرام» انتهى

***

وقد رأينا اتماماً للفائدة فيما يخصّ معارك نهر آين ان نلخّص ما كتبه المستر ولسون عنها من كتاب تاريخ الحرب الذي يصدره تباعاً والذي ناخذ عنه معظم ما في هذا الكتاب قال :

«بينما كانت الجيوش الفرنسوية الكبرى والجيش الانكليزي تصدّ الالمان عن التقدم حذاء نهر مارن كان حصن موباج الذي على الحدود الشغل الشاغل للجنرال فون زفيهل والفيلق الالماني الاحتياطي السابع .والجنرال زفيهل من كبار القواد الذين شهدوا حرب ١٨٧٠ . وكان مصير جيوش الغزاة كلها معلقاً بما كان يجري في موباج وان لم يكن احد يعلم ذلك في حينه . فلو ان حامية موباج صبرت على الحصر يومين اكثر مما صبرت لانقلب تقهقر الالمان الى وادي نهر آين هزيمة كبيرة

ولكن مدافع الحصار الالمانية قصرت اجل موباج الى حدّ مدهش فانها صبّت قنابلها من اماكن مخبوءة في حدود البلجيك على حلقة حصون موباج المدرعة فسحقتها سحقاً . والظاهر ان الفرنسويين بالغوا في الاتكال على درس بورت ارثر الخادع فلم يحموا موباج بمتاريس التراب والمدافع المتنقلة كما حموا فردان ولا عملوا بتعليم قائدهم المشهور الجنرال لنجلوا . فكانت النتيجة انه لم يأت اليوم السادس من سبتمبر حتى كانت الحصون قد محيت ولم يبق ما يدل على امكنتها سوى حفرة في الارض . وفي اليوم التالي سقطت موباج . وهذا

هو اليوم الذي ادرك فيه فون كلوك حرج موقفه في الجنوب الشرقي من باريس . والظاهر ان فون كلوك (قائد الجيش الاول على الميمنة) والجنرال بولوف كانا قد اعارا الجنرال زفيهل بعض مدافعهما الضخمة لمساعدته على ضرب موباج . وكان مع زفيهل ايضاً قطار الحصار الكبير المعدّ لضرب باريس . فلذلك اصبح المنقذ الوحيد للجيوش الالمانية المتقهقرة رغم صغر جيشه . ولكن هل يستطيع ارسال المدافع الضخمة في الوقت اللازم لمنع التقهقر ان يستحيل هزيمة ؟

علم هذا الجنرال يوم ٨ سبتمبر بتقهقر الجيوش الالمانية فجمع ١٨ الف رجل من الاحتياطي وسار بهم اربعة ايام وثلاث ليالٍ جنوباً لمساعدة الجناح الغربي المهدّد . وكان عليه ان يأخذ مدافع الحصار الى مدينة لاوون المشرفة على وادي نهر آين والصعيد الذي كان كلوك وبولوف يتقهقران اليه . فاجهد رجاله الى الحد الاقصى حتى ليقال انهم مشوا ٤٠ ميلاً في اليوم الاخير من سيرهم . فبلغوا لاوون الساعة السادسة من صباح ١٣ سبتمبر . ولم تمض ساعة على وصولهم حتى كانت مدافعهم مستعدة للعمل . فحفظوا مراكزهم حتى جاء مدد عدده ٢٢ الفاً وبذلك انقذوا الجيش الالماني من الانكسار التام . وقد خسروا ثمانية آلاف رجل ولكنهم خلّصوا المانيا

وكان يدير الاعمال الحربية كلها من منس الفيلد مارشال فون هيرنجن قائد الجيش الالماني السابع . اما كلوك فكان رجاله قد كلّوا في تقهقرهم الهائل من نهر مارن الى صعيد نهر آين . ولم يكن جنود بولوف احسن حالاً . واما هوسن فكان جيشه قد سحق ودبّ فيه الهلع وكذلك جيش دوق ورتمبرج فانه كان خائر القوى مفكك العرى . فلم يجمع شمل هذه الجيوش بعد تفرقه سوى وصول هيرنجن بربع مليون من الجنود الجديدة من شمال فردان ووصول

زفيهل من موباج بمدافع الحصار

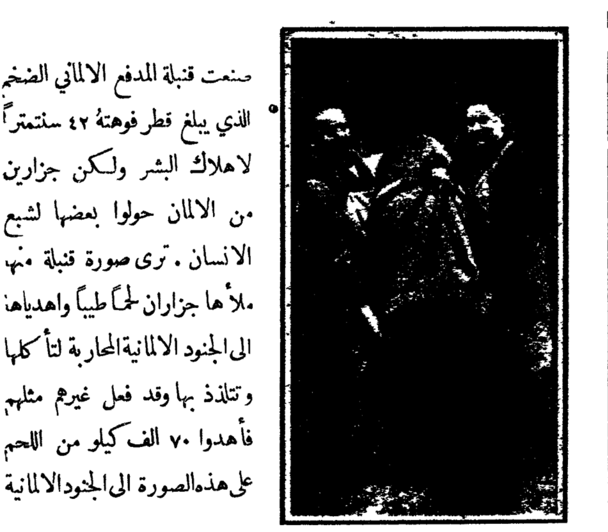
وكان كلوك في ١١ سبتمبر قد نقل معظم مدافعه الى عبر نهر آين عندسواسون واتى بمعظم رجاله الى الهضاب المطلّة على ذلك النهر من الشمال . واقام حرساً قوياً في جميع النقط المهمة جنوبي النهر ليؤخر الحلفاء عن الزحف ما امكن . اما هو فجعل يستعدّ للوقوف على صعيد سواسون . نعم انه افرغ مجهوده حتى بقيت جنوده المتقهقرة سليمة ولكنها كانت خائرة القوة من فرط الاجهاد والاعياء . فلم يؤخر حركة الالتفاف التي كان الجيش الفرنسوي السادس يقوم بها بقيادة الجنرال مونوريه غير المدفعية بمدافعهم الضخمة التي سبقت الاشارة اليها . ولكن هذه المدافع لم تصد الانكليز اذ كان عندهم ما يماثلها . فلو كان عند الفرنسويين مدافع ضخمة كالانكليز لربما امكن دفع الجناح الالماني الغربي عن خط مواصلاته الاكبر وهو سكة الحديد الممتدة من كولونيا الى لياج ونامور وموباج وسان كنتان ونوايون . ولكن المركز الذي احتله الالمان للدفاع عن سكة الحديد كان منيعاً جداً لسوء حظ الحلفاء .وجعلوامعسكرهم العام في لاوون الواقعة على هضبة عالية تنحدر جنوباً في منحدرات تكسوها الغابات حتى تنتهي الى اودية عريضة ترتفع جوانبها الى صعيد طويل تكسوه الغابات ايضاً على محاذاة نهر آين

وهذا الصعيد عقبة عظيمة امام تقدم جيوش الحلفاء وهو اعظم حصن طبيعي في شمال اوربا . وقد مرّ قرن من الزمان والالمان يدرسونه بدقة وعناية لامزيد عليها اذ فيه قهر البروسيون بقيادة بلوخر الجيش الفرنسوي بقيادة نابليون في حرب سنة ١٨١٤ . وكان نابليون قد غلب البروسيين في سلسلة معارك على نهر مارن كما فعل جوفر الان ولكن بلوخر بتقهقره الى صعيد سواسون عاد فغلب خصمه الشهير

وهذا ما امّل هيرنجن صنعه سنة ١٩١٤ في احوال متشابهة. فقد كان تحت امرته كثيرون من نخبة جنود بروسيا وكان عالماً تمام العلم بخطط بلوخر فضلاً عن ان اركان حرب الجيش الالماني عملوا كل ما يمكن لتسهيل الدفاع عن ذلك الموقف . وكان بعض مقالع سواسون الكبرى في ايدي شركات المانية ايام السلم فاعدوا مراكز للمدافع الكبرى ودرسوا كل شبر من تلك الارض . ورسموا الخرائط بها لرجال العسكرية . وجيء بالمان اقاموا السنين الطوال في سواسون وريمس لاستشارتهم في طبيعة الارض وطلب مساعدتهم في حفر الخنادق وتهيئة مراكز للمدافع . ووزع مستخدمو الشركات المشار اليها — وبعضهم من خونة الفرنسويين — على البلاد الواقعة جنوبي نهر آين ومدّت لهم الاسلاك التلفونية تحت الارض فكانوا يتجسّسون حركات جيش الحلفاء ويبلغونها اركان حرب الجيش الالماني بالتلفون سراً . مثال ذلك انهم امسكوا في مكان قرب ريمس جاسوسين هما رجل وزوجه كانا يسكنان بيتاً منفرداً فيه تلفون متصل بالجيش الالماني . وكان الرجل فرنسوياً وقع خصام بينه وبين البوليس فاستخدم في شركة لصنع الخمر في ريمس . وقد وجد في بيته كثير من الاسهم النارية منها ما نوره احمر ومنها ما نوره ازرق . وكان يطلق الاسهم في غابة مجاورة لمنزله . فاذا اطلق سهماً أحمر كان معنى ذلك ان قافلة تحمل الميرة والذخيرة اخذت تصل صفوف الجيش الفرنسوي الخامس . واذا اطلق سهماً ازرق كان المعنى ان رجال الجيش يستعدون للسير . وتجسس حركات بطريتين فرنسويتين نصبتا قرب بيته وابلغ الالمان كل ما عرف عنهما فذهبت نارهما سدى. وكان يتردد الى منزله ضابط الماني كان مستخدماً في الشركة عينها قبل الحرب — يأتيه بزي جاويش فرنسوي لاخذ تقارير مفصلة منه

لنعد الى صعيد سواسون فنقول انه واقع في منتصف الطريق بين باريس

هـذه صورة الـكنيسة التي اصابتها قنبلة من قنابل الطرادات الالمانية فخربت واجهتها



صنعت قنبلة المدفع الالماني الضخم الذي يبلغ قطر فوهتهُ ٤٢ سنتمتراً لاهلاك البشر ولـكن جزارين من الالمان حولوا بعضها لشبع الانسان . ترى صورة قنبلة منها ملأها جزاران لحماً طيباً واهدياها الى الجنود الالمانية المحاربة لتأكلها وتتلذذ بها وقد فعل غيرهم مثلهم فأهدوا ٧٠ الف كيلو من اللحم على هذه الصورة الى الجنود الالمانية

والحدود الفرنسوية . وهو يمتد من غابة لايجل قرب مدينه نوايون غرباً الى مدينة كراوون قرب ريمس شرقاً مسافة ٣٧ ميلاً . ويخترقه نهر آين جارياً في وادٍ واسع عميق عدا ما يتخلله من السواقي الكثيرة التي شقت فيه حزوناً واودية صغيرة كثيرة التحدر في اطرافه الجنوبية . فاذا نصبت المدافع فيه سترتها اشجاره الكثيفة عن عيون الطيارين الواقفه بالمرصاد فتحكمت المدافع بوادي نهر آين تحتها . ويحمي المدافع من حملات المشاة منحدرات كثيرة الشجر صعبة المرتقى وقد اقام فيها مشاة الالمان ببنادقهم والبنادق المتعددة الطلقات والمدافع الخفيفه يحمون مداخلها

وقد وجد الحلفاء في هذا المكان جميع المصاعب والعثرات التي صادفها نابليون في مهاجمته لبلوخر واخفق دونها مضافاً اليها المصاعب الناشئة عن احكام المدافع وازدياد مدى البنادق في مئة سنة.وعليه وجدت جنودنا امامها مهمة من اعسر المهام التي عرضت لانسان واعظمها خطراً . فقد كان عليهم ان يهاجموا مواجهة موقفاً عالياً حصيناً احتله الجيشان الالمانيان الاول والثاني . ولم يكن معهم مدافع ضخمة من عيار المدافع التي جاء بها زفيهل لمساعدة الجيشين المذكورين . ثم ان البنادق المتعددة الطلقات التي كانت عندهم هي دون ما عند اعدائهم عدداً. وكان عليهم ايضاً ان يقطعوا الوادي وعرضه نصف ميل الى ميلين في بعض المواضع وان ينصبوا الجسور على النهر لعبوره وعرضه ١٧٠ قدماً . هذا كله ومدافع الالمان نصب عليهم نيرانها بلا انقطاع . ثم اذا عبروا النهر وجب ان ينسلقوا جوانب موقف الالمان تحت نيران البنادق ومدافع مكسيم ومدافع هوتزر

ولكن رغم هذه المصاعب عبر الانكليز النهر ثم احتلوا موقفاً ذا شأن عظيم في صعيد سواسون . وكان الالمان واثقين بقدرتهم على صد الانكليز حتى انهم تركوا

جسراً عند كونده لم يهدموه . وغايتهم من ذلك اغراء الانكليز بمهاجمتهم حيث كانت وسائل دفاعهم على اعظمها وابقاء الطريق مفتوحاً امامهم لمهاجمة الانكليز عند سنوح الفرص لهم . وكان الجيشان الالمانيان الاول والثاني قد اتحدا للدفاع عن صعيد سواسون بقيادة الفيلد مارشال هيرنجن الذي ارسل على عجل من ناحية فردان حيث كان يساعد ولي عهد المانيا بالجيش السابع المرابط في متس . وكانت الحالة في فردان تستدعي بقاء قسم كبير من الجيش المذكور هناك ولكن هيرنجن فعل فعالاً ايدت شهرته بانه من خيرة قواد المانيا واعظمهم فانه صف الجيشين الاول والثاني على الهضاب الواقعة بين نوايون وكراوون واستدعى الجنود الالمانية من حول اميان غرباً وجعلهم على جناحه في بيرون وسان كنتان . واستدعى جنوداً اخرى من البلجيك واعاد تنظيم الجيش الثالث (السكسوني) وارجع جيش دوق ورتمبرج من ريمس الى الارض الممتدة من شرقي صعيد سواسون حذاء نهر سويب الى وسط غابة ارجون حيث جيش ولي العهد

وكانت جيوش الفريقين قد انهكها التعب وفل من غرب عزيمتها ولكن علم الحلفاء بانهم دفعوا الجيوش الالمانية من باريس الى منتصف الطريق بينها وبين الحدود شدّد عزائمهم الوانية . وكان هيرنجن قد بذل حذقاً خارقاً في ترتيب مدافع الجيشين على شكل يجعل صعيد سواسون مثل حصن جبل طارق مناعة لولا ضعف واحد فيه سيأتي ذكره . ولم يعول هيرنجن على مشاة الجيشين لفرط ما عراهم من التعب حتى كانوا يسقطون اعياءً وخوراً في الخنادق التي احتفروها . وكانوا يتناوبون الراحة والنوم والمدفعية تحميهم . ولما كانت الحال تستدعي وجودهم بجانب المدافع لحراستها لم يكونوا قد انتعشوا مما اصابهم وكانت خطة هيرنجن على منوال الخطة التي جرى بلوخر عليها في قتال نابليون.

وفحواها ان يترك الجيش الفرنسوي السادس النازل غربي سواسون والجيش الانكليزي الزاحف ما بين سواسون وبورج والجيش الفرنسوي الخامس الزاحف على كراوون وباري اوباك — ان يتركهم وشأنهم ينطحون صخور الصعيد فاذا ما اوهوا قرونهم ولم يضيروه اعمل فيهم مدافعه وعبر النهر ثانية مزاحفاً على باريس وحينئذ فاما ان يحتويهم بجيوشه واما ان يهزمهم شرّ هزيمة وهذا اهون ما ينالهم . وذلك بعد ان يأخذ مشاته قسطهم من الراحة وترده الامداد العظيمة لاستئناف الهجوم

ولكن السر جون فرنش قائد الجيش الانكليزي لم يترك الاعداء يكسبون مزية عليه من تردده بل عمل بسرعة وحزم وشدة فانه نصب المدافع في اماكنها المعدة لها وحفر الخنادق تحمي جنوده من نار الالمان وجرّ اجزاء من الجسور التي يروم مدّها على النهر — هذا كله فعله ليلاً وفي الصباح اخذ يحاول عبور النهر . ولم يكن يعلم قوة الاعداء في الصعيد المقابل له ولا كانت له وسيلة لمعرفتها . كذلك لم يكن يعلم كيفية اصطفافهم للقتال . ولكنه استدل من المقاومة التي لقيها جيشه في اليوم السابق (١٢ سبتمبر) ان عدد الالمان كان ثلاثة فيالق على القليل . فكانوا بذلك اكثر منه عدداً واعزّ موقفاً

ورأى ان لاسبيل امامه لسبر غور اعدائه ومعرفة ما ينوون الاّ مهاجمتهم بشدة فزحف بجنوده على مسافة ٢٠ ميلاً من سواسون الى بورج . وكان الفيلق الثالث (وهو مؤلف من فرقة ولواء فقط) يعمل هو وميمنة الجيش الفرنسوي الخامس معاً حول سواسون ووقف جيش الجنرال بلطني (وهو مؤلف من اربعة الوية مشاة) الى الشمال الشرقي من سواسون وعبر احد الويته النهر عند فنيزل . وشرعت الجيوش كلها تمدّ جسور الزوارق في امكنة مختلفة تحت نيران الالمان . ورأى الفيلق الثاني ان الالمان يحمون جسر كونده بقوة كبيرة

وأن اخذه عنوة من اشق الاعمال فانقسم قسمين قسم هاجم قرية ميسيه غربي كونده بميلين ونصف وقسم هاجم بلدة فلييه شرقي كونده بثلاثة اميال . اما القسم الذي هاجم قرية ميسيه فعانى الاهوال من مدافع الالمان ثم لم يفز بعبور النهر . فمال جزء كبير منه غرباً (معظم الفرقة الخامسة)وعبرالنهر بين ميسيه وفنيزل وساعد جيش الجنرال بلطني على الثبات في شيفر امام حملة شديدة حملها الالمان . واما القسم الذي هاجم فلييه فعانى ما عانى الاول من الاهوال ولكن لوائمنه عبر النهر الى الضفة الشمالية على جسر مده ليلاً وحفر الخنادق فصب عليه الالمان قنابلهم فاضطر الى التقهقرمن حيث اتىوهكذا فشل الانكليز في ميسيه وفلييه معاً

وظهر في بادىء الامر ان الفرقتين الاولى والثانية من الفيلق الاول ليستا اسعد طالعاً من الفيلق الثاني لان بعض جنودهما هاجموا الالمان في قرية شافون فاستقبلهم الالمان بنار حامية اضطرتهم الى النكوص

قلنا ان خط الدفاع الالماني كان فيه فرجة او مكان واحد ضعيف وقد اكتشفه السر جون فرنش باستطلاع عام اقدم عليه . ذلك انه بينما كانت الفرقة الثانية تقاتل جيشاً من الالمان اعظم منها عند جسر ارسيه حشدت الفرقة الاولى تدعمها فرقة الخيالة عند قرية بورج على طرف الميمنة الانكليزية . وكان المستطلعون قد علموا ان قوة الالمان في بورج ضعيفة فلذلك جمع السر جون فرنش ٢٠ الفاً في تلك النقطة ليضرب بهم ضربة شديدة وكانت اعظم قوة جمعها في نقطة واحدة من خط القتال هناك

اما الفرجة الالمانية فقد انتدب الجنرال فون زفيهل لسدها برجاله من موباج وكانوا لا يزالون على مسيرة يوم منها لما هاجمها السر دوجلاس هايج بفرقته الاولى وفرقة الخيالة . فعبر معظم جنود الفرقة الاولى النهر متجهين الى بورج

ولم يكادوا يلقون مقاومة واستعدوا لمهاجمة معمل لسكّر البنجر كان في ايدي الالمان وكان يحسب مفتاح مركز الحصمين . وكان الضباب كثيفاً ولو انقشع حينئذ لرأى الانكليز صفاً طويلاً من الجند بمدافعهم الضخمة وهم يجدّون في السير من لاوون نحو الطريق الواقع فوق المعمل المذكور . وهذا الصف من الجند هو جيش الجنرال زفيهل القادم من موباج وعدته ١٨ الفاً وقد هبّ لانجاد الجنرال بولوف(قائد الجيش الثاني)الذي هاجمه التوركوس ومشاة الجيش الفرنسوي الخامس شرقي كراوون . وكانت طلائع الجيش الانكليزي تصعّد في جوانب اكمة كراوون ولم يكن بولوف شرقي الصعيد ولا كلوك غربيه يستغنيان عن الرجال لامداد الخط الضعيف عند معمل السكر

ووجه الانكليز اربعة الوية لمهاجمة المعمل مواجهة ومجانبة وكانت هذه الحركة الجريئة هي التي انالت الجيش الانكليزي النصر ومكنته من الاستيلاء على المعمل قبل وصول الجنرال زفيهل . وتفصيل هذا الاجمال ان لواءين من الانكليز تقدما حتى احتلا خطاً عند رأس الاكمة بين المعمل ومكان اسمه «شمان دي دام» . وكان جنود زفيهل قد اخذوا يصلون من شمال المعمل وشرقيه ويقذفون قنابلهم على الجنود المهاجمين فلم يستطيعوا تقدماً وانحصر عمل الفرقة الاولى في المحافظة على ما كسبت من الارض

وارسل زفيهل جنوداً للاستكشاف الى الجنوب الغربي من موقف الجيش الانكليزي فاكتشفوا فرجة بين الفرقتين الاولى والثانية . فان الفرقة الاولى كانت تحتل الارض الواقعة شرقي الطريق الممتدة من بورج الى سرنيه ولواءين من الفرقة الثانية كان يفصل بينهما اكمة يحتلها الالمان فجعل هؤلاء يطلقون مدافعهم عليهما . فعقد قائد الفيلق الاول العزم على اخراج الالمان من الاكام التي على جانبي الوادي ليتمكن جنوده من اخذ المعمل فانتدب قوة كبيرة من

المدفعية لمساعدة المشاة فضربت الالمان في وادي براي فتيسر للواء السادس اد ذالك ان يسير الى الامام وان يقف موقفاً ثابتاً على الآكام المجاورة وفي شيفي قرب «شمان دي دام»

وكان الجنرال فون زفيهل في غضون ذلك قد ملك زمام الحالة كلها . فانه جمع الجنود المحافظة على رؤوس الهضاب وضمها الى جيشه وعززها بالأمداد حتى بلغ عددها ٤٠ الفاً ونظمها ثم عمد الى الهجوم . وانما مكنه من ذلك حسن موقعه و كون مدافعه وبنادقه ضعفي ما عند الانكليز منها . وقبلما يتمكن الجنرال هايج من سدّ الفرجة التي بين الفرقتين الاولى والثانية بجنود اللواء السادس والحرس ارسل زفيهل قوة كبيرة من المشاه الى الطريق الذي بين سرنيه وبورج فلما بلغت المرتفعات التي شمالي جسر آرسيه فاجأها اللواءالاخيرمنالفرقة الاولى وكان يحاول الاتصال بالفرقة الثانية لسدّ الفرجة التي بينهما ومنع الالمان من شطر الفيلق الاول شطرين والاحداق باللواء السادس وجنود الحرس

ولم يصمد للالمان سوى اورطتين من الجنود الانكليزية فاصلتاهم ناراً حامية من بنادقهم واربعة مدافع مكسيم فتفرقوا شذر مذر وارتدوا على اعقابهم فخفّ الضغط قليلاً عن اللواء السادس ولكن الجنرال زفيهل امر جيشه بعد ظهر ذلك اليوم بهجوم عام على الفيلق الانكليزي الاول فاشتد القتال و كثر القتلى عن الجانبين . وكان طول البقعة المتنازع عليها اربعة اميال وعرضها نصف ميل . وبقي الرجال المتحصنون في الخنادق يومين يسمعون انين الجرحى حولهم ولا يستطيعون مدّ يد لاعانتهم . ولم يقو الجنرال زفيهل على زحزحة اللواءين الاول والثاني من الربوة التي احتلاّها.ودام التقتيل ثلاثة اسابيع حتى ضاقت رحى الصحصحان دونجثث الاموات وتصاعدتعنها ريح كريهة سدّتمنافس الفضاء ولم يطق الاحياء احتمالها فبقوا ثلاثة اسابيع يدخنون بلا انقطاع لاخفاء

رائحتها . وقد قال الجنرال زفيهل انه فقد تسعة آلاف رجل في تلك المدة

ولما اعياه الامر وضاق ذرعاً عن التقدم برجاله بعد ما نفدت جعبته من الرجال والمدافع هب الجنرال هيرنجن لمداواة الحال بعد ما استقدم جيشه من بلاد لورين واستقدم امداداً اخرى من البلجيك بسكة الحديد الى لاوون ومن الاحتياطي والمليشيا من المانيا . وكانت جيوش كلوك وبولوف وهوسن وورتمبرج قد اخذت تنتعش بعد تقهقرها المضني من نهر مارن حتى اصبح عدد الرجال المستعدين للقتال نحو مليونين ونصف . فاذا اسقط من هذا المجموع الجنود التي ابقيت في البلجيك والزاس ولورين كان عدد الجيش الواقف للقتال من بيرون الى شمال فردان وحول تنسي نحو مليونين . وهذا اكثر كثيراً من الجيش الذي كان الجنرال جوفر يستخدمه حينئذ للهجوم لانه لا يزال متشبثاً بالقاعدة النابوليونية القائلة بوجوب ابقاء جيش احتياطي كبير بعيداً عن صف القتال . وبناءً على هذه الاعتبارات قرر اركان حرب الجيش الالماني برآسة فون مولتكي العود الى الهجوم

وفي ١٧ سبتمبر دخلت معركة آين بذلك طوراً جديداً اذ بات الالمان هم المهاجمين دون الحلفاء من كومبيان الى هضاب سويب وغابة ارجون . وكان الفيلق الاول (الانكليزي) هو الذي احتمل احرّ نار القتال لان الالمان هاجموا جناحه الايمن هجوماً شديداً . وبعد عراك طويل ابلت فيه جنود نورثمبتون تمكن الانكليز من صدّ الالمان في ذلك المكان واجلائهم عنه فارتفعت بذلك ميمنة الفيلق الاول الى راس الصعيد وكان موقفها هذا اعلى مكان بلغه الانكليز على ضفة نهر آين الشمالية . وكان في نية السر جون فرنش اخذ الجسر عند كونده لتعزيز مركز الفيلق الثاني ولكن قائد هذا الفيلق رأى ان موقف جنوده عزيز وان مركز مدافعه يمكنه من افناء كل قوة المانية تحاول المرور على الجسر

وفي ذلك اليوم عينه ابلغ الجنرال جوفر الجنرال فرنش انه اضطر الى رسم خطة جديدة للجيش مؤداها التزام جانب الدفاع في ذلك المكان وترك الالمان يهاجمون.واخبره ايضاً انه ارسل قوة جديدة الى الشمال لمهاجمة الميمنة الالمانية في بيرون قصد اكتنافها . فدخلت معركة آين بهذا الانقلاب طوراً ثالثاً . فقد كان الطور الاول هجوم الحلفاء . والثاني هجوم الالمان وهذا الثالث نقل الاعمال الفاصلة الى مكان آخر . ولما كان لا بدّ من مرور وقت طويل قبلما يشعر بتأثير هذا التغيير في قوة الالمان الهجومية عمد الانكليز الى تعميق خنادقهم واصلاحها استعداداً لحصار العراء الطويل . وكانت اربع بطريات من مدافع هوتزر عيار ٦ بوصات قد وصلتهم من انكلترا فاضافوها الى مدافعهم فاصبحت مراكزهم بها مضمونة امام هجوم الالمان

ورأى السر جون فرنش ان عمله قليل هناك وملّ هو ورجاله القعود عن الهيجاء فهيأ مشروعاً لاعمال جديدة تعمل عند كاليه فافضى ذلك الى نقل الجيش الانكليزي في اوائل اكتوبر الى ميدان جديد حول اببر وبذلك انتهت اعمال هذا الجيش على نهر آين

الفصل الثالث والثلاثون

بين الالمان والفرنسويين

على نهر آين وحول ريمس

عبور الجيش الفرنسوي السادس لنهر آين — اشتداد القتال في الحزون والتلال — ضرب سواسون — تصعيد الجيش الفرنسوي الخامس في اكمة كراوون — هجوم الالمان — محاولتهم خرق القلب الفرنسوي وفشلهم — ضربهم كنيسة ريمس — اغارتهم على المواصلات الفرنسوية — القتال في غاب ارجون — استيلاء جيش متس على حصن المعسكر الروماني — سدّ الفرنسويين للفرجة التي في صفوفهم على اعالي نهر موز

كان الانكليز اسعد طالعاً واكثر نجاحاً على نهر آين من الفرنسويين . وكان السبب الاكبر في ذلك وجود مدافع عند الانكليز عدمها الفرنسويون . فانه لما وقف الالمان على صعيد سواسون وعلى الهضاب الممتدة من ريمس الى غاب ارجون بعد تقهقرهم من نهر مارن جاؤوا بمدافع الحصار مما قطر قنبلته ٦ بوصات الى ١١ بوصة فملكوا بها ناصية الميدان هناك . اما مدافع الفرنسويين فقد كان مداها دون ما تستلزمه حرب الحصار التي بدأت على ضفاف نهر آين . وكانت النتيجة ان الجنود الفرنسويين وجدوا انفسهم بغتة مقصرين عن الالمان ولكنهم اعادوا الموازنة التي اختلت بتفوق سلاح الالمان على سلاحهم بما ابدوا من الهمة والمثابرة في هجمات مشاتهم . وكانوا اذا لزم الامر يحملون على مدافع الالمان بحرابهم ويستولون عليها ولو فقدت الاورطة الهاجمة نصف رجالها . وبقي الفرنسويون حاصرين والالمان محصورين من الاول الى الاخر . وبعبارة اخرى ان الجنرال جوفر استبقى لنفسه مزيّة المتبوعية التي كسبها بعد معارك نهر آين

فكان على الدوام مهاجماً واكره قائد الجيوش الالمانية العام سواء كان مولتكي او فلكنهاين او الامبراطور ان يكونوا تابعين له في حركاته

على ان الالمان بذلوا اقصى مجهود لافقاده تلك المزية ولاستعادة الهجوم ليكونوا هم المتبوعين وهو التابع لهم. ففي اوائل معارك نهر آين استعادوا القدرة على الهجوم فحملوا على خصومهم حملات مدهشة واكرهوهم على التزام الدفاع على طول خطوطهم . واستولوا على عدة نقط اكسبتهم مزايا جمة بين نوايون وسواسون وكذلك بين كراوون وريمس وارجون .ولكنهم لم يستطيعوا جعل الجنرال جوفر تابعاً لهم بل بقي متبوعهم فكان يفرض عليهم خطة الهجوم التي يجب ان يعمدوا اليها ويكرههم على اتباعها

وبعد تقهقر الالمان من نهر مارن كان زمام الامر في ايدي القواد الفرنسويين الذين يقودون الجيوش المختلفة فكانوا يطاردون الجيوش الالمانية ويهاجمونها كلما حاولت الوقوف امامهم . فالجنرال مونوريه قائدالجيش الفرنسوي السادس هاجم الجنرال فون كلوك قائد الجيش الالماني الاول من نوايون الى سواسون . ثم هاجم الجيش الانكليزي قسماً من الجيش الالماني الثاني (جيش بولوف) بين سواسون وبورج . ومن جنوب بورج الى ريمس هاجم الجنرال دسبراي قائد الجيش الفرنسوي الخامس جيش بولوف الاكبر في جهات كراوون . وجنوبي نهر سويب هاجم الجنرالان فوش ودي لانجل كاريه جيشي دوق ورتمبرج وولي عهد المانيا . وحول فردان تهدد البافاريون وبقية حامية متس الجنرال سارايل قائد الجيش الفرنسوي الثاني

اما معظم الجيش الالماني المرابط حول متس بقيادة الفيلد مارشال فون هيرنجن فاستدعي لتعزيز كلوك وزفيهل وبولوف غرباً كما تقدم القول . واستدعي الجيش الالماني من البلجيك الى لاوون لتعزيز الجيوش الاربعة الذين بقيادة

هيرنجن . هذا كله جرى في اواسط سبتمبر وكان غرض الالمان منه حشد قوة هائلة من الرجال والمدافع في وجه الجيش الانكليزي والجيشين الفرنسويين السادس والخامس على نيةدفع ميسرةالحلفاء (المؤلفة من هذه الجيوش) الى وراء او كسرها فتعود مقاليد الميدان الى ايدي الالمان ويستأنفون الزحف على باريس . ولكن مرّت ايام قبلما ظهر تأثير هذه الخطة الجديدة . وفي خلال ذلك كان الحلفاء يتقدمون . وكان الجيش السادس اول من قاتل في معارك نهري آين وسويب . فانه زحف من غربي نهر اورك جاداً في اثر فون كلوك (قائد الجيش الالماني الاول) ونشر جنوده على مقدمة واسعة ممتدة من غاب كومبيان الى مكان جنوبي سواسون . فطرد الالمان من كومبيان ثم عبر نهر آين عند ملتقاه بنهر واز وزحف على نوايون بطريق غاب لايجل . ولكن كلوك كان قد نصب مدافعه الضخمة على المنحدر الشرقي من صعيد سواسون وهو يطلّ على الغاب المذكور ويتحكم بوادي نهر آين

وفي١٣ و١٤ سبتمبر مدّ الفرنسويون جسرين على نهر آين عند فيك وفونتنوي تحت نيران المدافع الالمانية ثم عبر مشاتهم النهر واندفعوا على جوانب الصعيد فزحزحوا الالمان من مواقفهم ثم احتلوا مضيق نوفرون على بضعة اميال من سواسون شرقاً وتسرّبوا منه الى وادي مورساين فوق فيك . وهذا الوادي محاط بتلال نصب الالمان مدافعهم عليها . فدخوله مجازفة لانه اشبه شيء بمصيدة فاذا دخله جيش صادته المدافع المحيطة به وافنته عن آخره . ولكن الجنرال مونوريه قائد الجيش السادس جازف بجيشه وعرّضه للفناء . فانه امر احد فيالقه بدخول المضيق الواقع فوق فيك فدخلوه مسرعين تحت نار لاذعة من المشاة والمدفعية الالمان المالئين جانبي المضيق وقصدوا ظهر الاكمة الوسطى ثم داروا محاولين ان يصلوا مؤخرة الطلائع الالمانية ليفصلوها عن الجيش الاكبر.

ولكنهم اخفقوا في محاولتهم هذه لان الالمان كانوا قد عززوا جنودهم في خلال هذه الحركة وتولى هيرنجن الدفاع عن الصعيد كله من نامبسل حتى كراوون بالجيش الالماني السابع . فجمع الجنود والمدافع على وجال الجيش الفرنسوي السادس ولم يأت يوم ١٦ سبتمبر حتى ردّهم الى فيك وهم يقاتلون مستقتلين ليثبتوا على ضفة النهر الشمالية

وجرى مثل ذلك في وادي نوفرون غرباً فوق فونتنوي . فان كلوك كان يفرغ الجهد بجنوده المتقهقرة الخائرة القوى للاستيلاء على جميع مرتفعات الصعيد في وجه مطارديه . ولكن جنود الزواف الفرنسويين استولوا على قرية نوفرون عنوة . وما كادوا يفعلون حتى وصل هيرنجن بالنجدات القادمة من البلجيك وموباج فدفع الفرنسويين في جهة النهر

وظهر ليلة ١٦ سبتمبر كأن اقصى ميسرة الحلفاء يوشك ان يمزّق . فان الالمان اهتدوا بانوارهم الكشافة الى خنادق الفرنسويين واستحكاماتهم التي أقيمت على عجل قرب النهر ووجهوا عليها نيرانهم الحامية . وحينئذ علم الجندي الفرنسوي بالخبرة ما لم يعلم ـ علم ان تقاليد علم الحرب الفرنسوية الموروثة من عهد نابوليون باتت بلا قيمة تحت قنابل مدافع الحصار وان الرجوع الى النظام القديم الذي نظام معارك الخنادق في عهد فوبان وتوران لهو خير من تلك التقاليد

وهذا عينه حدث في مدينة سواسون الجميلة . فان الجيش الانكليزي اشترك مع الفيلق الايمن من الجيش السادس في الزحف على المدينة وفي عبور النهر . وكان الالمان حتى ١٢ سبتمبر لا يزالون يحتلّون اكمة جنوبي سواسون في وجه الفيلق المذكور وهي الاكمة المسماة «موندني بارنه». ولكن جنود الزواف التوركوس تمكنوا بمساعدة المدافع الضخمة في الفيلق الانكليزي الثالث من ادراك

الجنود الالمانية التي تحمي الساقة ففرت هذه امامهم الى سواسون فلحقوا بها حتى بلغوا المدينة ثم انقلبوا عائدين ونسفوا الجسور في اثناء عودتهم . ولما صار مهندسو الفيلق الثالث على مقربة من سواسون حاولوا مدّ جسر من القوارب على النهر ولكن الالمان حالوا بمدافعهم دون ذلك فاضطر الفرنسويون ان يعبروا النهر على قوارب وارماث

ومع ذلك لم يستطع الفرنسويون البقاء في المدينة لان الالمان نصبوامدافعهم في مقالع باسلي على بعد ميلين منها شمالاً . وكان اصحاب المقالع الالمان قد اعدّوا دكّات المدافع في السلم تحت اشراف اركان حرب الجيش الاكبر في برلين . ومن تلك الدكّات اطلق الالمان مدافعهم الضخمة فهدمت نصف المدينة وشوهت كنيستها الكبرى وغيرها من الابنية الجميلة

وكان معظم الجنود الفرنسوية في سواسون من التوركوس واهل الجزائر والغرب الاقصى . فطردوا الالمان منها بحملات شديدة تؤيدها البنادق المتعددة الطلقات ومدافع الميدان . ولكنهم لم يستطيعوا اكثر من ذلك لان مدافع الالمان كانت منصوبة فوق المدينة بشكل نصف دائرة ومشاتهم متحصنون امام المدافع في خنادق تبعد عن قلب المدينة كيلومتراً او اكثر بقليل.وكانوا يشرفون عليها من ثلاثة اماكن ويرون كل حركة من حركات الجنود وسكنة من سكناتهم . فاذا رأوا حركة فائقة المعتاد اصلوهم من مدافعهم الضخمة ناراً شديدة

وكان من المستحيل اخذ الروابي بالهجوم لان مدافع الالمان الرشاشة كانت تطلق قنابلها على جوانب الروابي فتبيد كل ذي حياة فيها . ودام اطلاق القنابل على سواسون شهوراً من غير ان يفوز احد الفريقين بطائل منها.وهجرها اهلها الا نحو الفي نفس بقوا فيها الى آخر السنة وكانوا يسكنون اقبية منازلهم

وكثيراً ما اشرفوا على الموت جوعاً لان مدافع الالمان كانت تحول دون وصول القطارات التي تحمل الزاد اليهم والى طلائع الجيش الفرنسوي

وتفاقم الامر ليلة ١٦ سبتمبر على طول خط الجيش الفرنسوي من سواسون الى كومبيان . وكان الفرنسويون قدقرروا ايقاف عدوهم عند حده على نهر آين والزحف شمالاً حذاء ضفة نهر واز الشرقية لعلهم يأخذونه من خلف . ولم يكن عند الجنرال مونوري ما يكفي من الرجال للقيام بهذين الامرين بل ان رجاله لم يكونوا كافين لحفظ موقفهم على نهر آين في وجه النجدات التي وجهها هيرنجن عليهم

ولكن الجنرال جوفرلم يضق ذرعاً عن هذا الموقف فانه كان يستخدم الجيش السادس لسبر غور القوات التي حشدها هيرنجن وكان عنده جيش احتياطي كبير حشده على جانب جيشه السادس وجعل يتحيّن الفرص لانزال هذا الاحتياطي الى الميدان . ولكن اشتداد الالمان على الجيش السادس حمل الجنرال جوفر على ارسال قسم من الاحتياطي في جهة نهر آين قبل الاوان الذي قدره. وكان قد استدل من مجرى الحوادث ان المعركة الكبيرة القائمة عندصعيدسواسون ليست قتالاً تقوم به الساقة الالمانية لتترك الجيش الاكبر يتقهقر على مهل بل قتال يبذل فيه الالمان جهد طاقتهم ويستخدمون جميع قواتهم ليكون فاصلاً

فعمد الجنرال جوفر في هذا المأزق الجديد الى طريقة جامعة للنقيضين لانها جمعت بين الجرأة والشدة من جهة وبين التحيّل والحذر من جهة اخرى . فان الجيش الانكليزي كان قد اخذ نقطة مهمة على جانب الصعيد الشرقي فلم يشأ جوفر ان يكون جيشه دون جيش حلفائه في كسب المواقع المهمة . هذا من جهة . ومن الجهة الاخرى لم يرد التشبّه بنابليون اذ هاجم بلوخر في المكان عينه وبذل بكل شيء لمهاجمة جيش قوي في مكان عزيز . فلذلك

شطر احتياطيه شطرين ـ واحد وجهه لانجاد الجيش السادس في الهجوم على الصعيد وآخر الّف منه ومن جنود اخرى جيشاً سابعاً بقيادة الجنرال كستلنو وصدر اليه الامر بمهاجمة خطوط المواصلات الالمانية مجانبة من الغرب

اما هيرنجن فلم يكن يستطيع معاً تعزيز مقدمته على طول خط الصعيد وابقاء احتياطي كبير للاقدام على حركة التفاف حول كومبيان . ورأى جوفر ان لا غنى له عن اغراء قرنه بالهجوم على خط النهر ليعلم مقدار قوته من المشاة ففعل ذلك كما تقدم القول وانجلى له الامر بعض الانجلاء ولكن لزيادة التحقق امر النجدة التي ارسلها الى الجيش السادس بالهجوم الشديد. وهذا الهجوم يمكنه من استقصاء ميمنة هيرنجن التي تستطيع دون غيرها الاقدام على حركة التفاف ثم اذا اشترك الجيش الانكليزي في هذا الهجوم من جهة القلب والجيش الخامس من جهة الميسرة الالمانية في كراوون تمكن جوفر من الهاء هيرنجن الى ان يقف الجنرال كستلنو عن جانبه

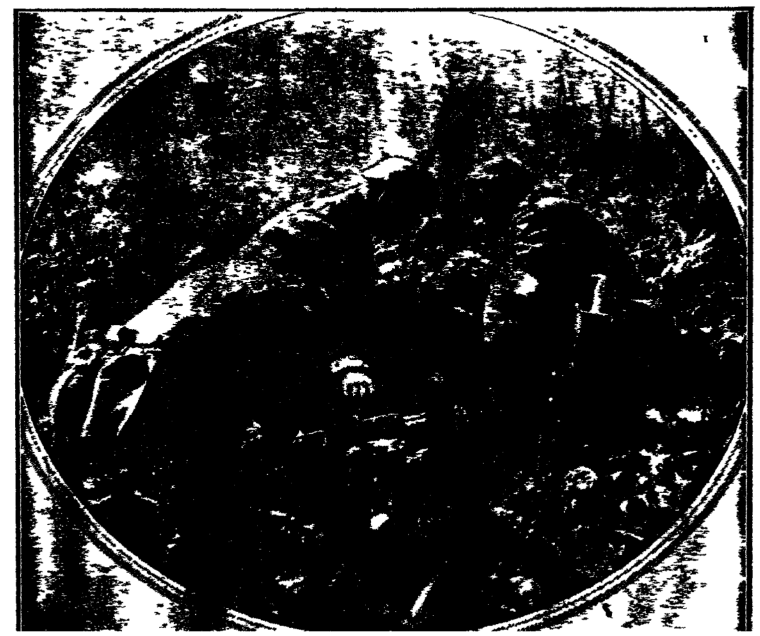
ففي ١٧ سبتمبر زحف رجال الجيش الفرنسوي السادس الى امام حاملين حملتين شديدتين الواحدة على فونتنوي والثانية على فيك اما سواسون فقنعوا بصدّ الالمان عنها .ولم يأتوا بمدافع ضخمة بل استخدموا «مدافع ٧٥» التي تقذف ٢٥ قبلة في الدقيقة والبنادق المتعددة الطلقات في ضرب جوانب الصعيد فوق النهر. فصدّوا هجوم الالمان ثم حمل مشاتهم على الصعيد حملات سريعة مستمرة وتسوّروا جوانبه فاضطروا الالمان ان يتقهقروا الى نامبسل وما وراءها . ولكن رغم ما ابدى الفرنسويون من البسالة لم يستطيعوا الثبات على اعالي الصعيد لان مدافع الالمان الضخمة حالت دون تحصنهم هناك فضلاً عن تأخرهم ثلاثة ايام عن الوصول فسبقهم زفيهل ونصب مدافعه الضخمة التي جاء بها من موباج في اعالي الصعيد وانجد كلوك جنوده المهزومة بنجدات كبيرة وجيء بمقادير

كبيرة من الميرة والذخيرة الجديدة من لاوون

ومما فتّ في عضد الفرنسويين ايضاً في المعارك التي قامت هناك كثرة ما كان عند الالمان من البنادق المتعدده الطلقات . ففي حالات كبره كان عند الاورطة الالمانية ست من هذه البنادق وعند الاورطة الفرنسوية اثنتان . ولا تخفى فائدة هذه البنادق الهينة الحمل الذريعة الفتك في الاماكن الوعرة الكثيرة الغابات حيث يسهل نصب الكمين .وقد انتفع الالمان من تفوقهم فيها انتفاعهم من تفوقهم في المدافع الضخمه

واخيراً اضطر الجيش السادس ان يتراجع الى النهر ومرّ سهران فيلمااستطاع أن يتقدم تقدماً بطيئاً لكن ثابتاً . فانه جهز نفسه في خلال تلك المدة بما يلزم من البنادق المتعددة الطلقات والمدافع الضخمة التي تقذف قنابل زنة الواحدة ٣٧ رطلاً الى مسافة ٨ اميال ومدافع الحصار المتحركة وزحف في نوفمبر شرقاً حول الصعد واستولى على بضعة مواقع مهمة في اعالي نهر آين حتى بات موقف الالمان موقف حامية محصورة وبات صعيد سواسون اعظم معسكر في العالم

وقد كان للجيش الفرنسوي الخامس الذي يقوده الجنرال دسبراي في حرب الحصار هذه شأن لا يقل عما كان للجيش الفرنسوي السادس . فقد كان موقفه الى يمين الجيش الانكليزي وكان بين ميسرته قرب بورج على نهر آين وميمنته في رئيس روابي كراوون المشرفة على سهل شمبانى . وهي الطرف الغربي من صعيد سواسون واعزّ ما فيه منالاً . ففي هذا المكان انكسر جيش نابليون بعد انتصاره على نهر مارن اذ سحقه بلوخر في معارك سنه ١٨١٤ التي انتهت بنفي نابليون الى جزيرة البا . اما الجنرال دسبراي فلم يفز بالاستيلاء على موقع عجز نابليون عنه ايام كانت المدافع اضعف مماهي الان ولكنه فاز بعدم الانكسار امام معدات الدفاع التي اعدها الجنرال فون بولوف بمساعدة الجنرال فون زفيهل والفيلد



اغاثة الجرحى الالمان

صورة عساكر الالمان يغيثون رفيقاً لهم جرح في معركة من معارك الايزر وقد قتل وجرح في معارك الايزر ولا باسه من الرجال ما لم يسبق له نظير في تاريخ الحروب فقد روى الرواة ان اورطاً المانية كثيرة لم يبق منها غير ربع رجالها وان البلجيكيين خسروا ١٠ آلاف اي نحو ربع عددهم في تسعة ايام . اراح الله العالم من كروب هذه الحروب

مارشل فون هيرنجن

. زحفت ميسرته في جهة «شمان دي دام» قرب خنادق زفيهل في سرنيه لتحمي جناح الفرقة الانكليزية الاولى بعد نجاحها العظيم على الصعيد . وكان السر جون فرانش قد رأى خطر استمرار رجاله على الزحف ما دامت روابي كراوون التي يحتلها الالمان على يمينه فسعى الجنرال دسبراي في اصلاح موقف الحلفاء بمهاجمة روابي كراوون . فهاجمها في ١٧ سبتمبر وتلا الهجوم عليها قتال استبسل فيه الفريقان وكانت تعوز الفرنسويين المدافع ذات المدى البعيد ولم يستطيعوا حماية زحفهم بمدافع تطلق من ضفة النهر المقابلة . وجهد ما استطاعوا ايقاف العدوّ عند المنحدرات القريبة من النهر اما هم فصعّدوا في جوانب الصعيد الشرقية حاملين حملات سريعة شديدة حتى بلغ مشاتهم قرية كراوون وهي ليست في اعلى الرابية . والظاهر ان بعض مشاتهم بلغوا أعلى مكان في اليوم التالي ولكنهم لم يصبروا على النار التي كان الالمان يرسلونها عليهم . وآخر الامر ارتدّ الفرنسويون في جهة النهر وازموا الدفاع

وكانوا قد عبروا نهر آين من مخاضة «باريه اوباك» على الطريق الممتدّ بين ريمس ولاوون امام روابي كراوون ولسوء حظهم كان هيرنجن قد حشد الجنود هنالك لمهاجمة ريمس . وجاء بجميع المدافع التي استغنى زفيهل وبولوف عنها وضمها الى مدافعه ونصبها في ذلك الطريق . وفي ليل ١٧ سبتمبر وصلت المدافع الضخمة من موباج فاستخدمت هذه المدافع كلها في صدّ هجوم الفرنسويين على كراوون وان لم يكن صدّهم هو الغاية الاولى

اما الغاية الاولى من حشد تلك القوات كلها فهي ريمس كما تقدم وكان يساعد الالمان على حشد جنودهم هناك سكة الحديد التي تمتد منها شمالاً الى مستودع الالمان الحربي الكبير في كوبلنتس على نهر رين بطريق رتيل ومزيير

ولكسمبرج . وكان هناك خط آخر ممتد من متس الى لكسمبرج يصل حامية منس بالجيش الالماني المرابط حول باريهاوباك وآكام لاوون . واصبحت جميع الاعمال الحربية التي كانت تعمل على صعيد سواسون ثانوية بازاء هذه الغاية . وكذلك اصبحت اعمال الفرنسويين هناك بعد ما عجز الجيش الانكليزي والجيشان الفرنسويان الخامس والسادس عن زحزحة الالمان من مواقفهم. وباتت ريمس وما حولها محط الانظار في الاسبوع الثالث من سبتمبر اذمنها ضرب الالمان ضربتهم آملين ان يستعبدوا بها مقاليد الميدان التي كسبوها في شارلروا ثم فقدوها على ضفاف نهر مارن

وكانت خطة القائد الالماني الاكبر ان يهجم بشانه مواجهة على الصفوف الفرنسوية ليخرقها بين ريمس وسويب مستعيناً بالمدافع الضخمة . فاذا اخفق الهجوم فاقل ما يرجوه انه يدفع الصفوف الفرنسوية الى وراء بحيث يستولي على سكة الحديد الممتدة في سهل شمباني من فردان وسان منهولد الى ريمس . ومتى تكن هذه السكة خلفه يستطع ترتيب جيوشه بسهولة تأهباً للهجوم الاخير

صدّ الجيش الفرنسوي الخامس عن كراوون في ١٨ سبتمبر وفي ذلك اليوم عينه هاجم الالمان قلب الجيش الفرنسوي (عند ريمس) . وكان الجيش الفرنسوي اذا ذاك واقفاً بين ريمس وبلدة سوابن فتجشم مصاعب جمة في سبيل رد الغزاة لانهم عند تراجعهم عن ريمس قبل بستة ايام ابقوا في ايديهم امنع الحصون الفرنسويه التي في تلك الناحيه . وكان الفرنسويون قد جردوا تلك الحصون القديمة من سلاحها ليامنوا بذلك على ريمس وكنيستها الشهيرة من اطلاق المدافع عليهما . واكبر الحصون واقع على هضاب «نوجان لابيس» المكسوة بالغابات وهو يبعد نحو كيلومتر ونصف عن المدينة . وفيه نصب الالمان مدافعهم الضخمة وخندقوا انها حوله وعلى محاذاة نهر سويب الذي يقترن بنهر آين عند

«باريه اوباك»

وفي اوائل المعركة استولى الفرنسويون على هضبة واطئة من هضاب «نوجان لابيس» وعلى اكمة بريون التي تبعد نحو ثمانية كيلومترات عن ريس شمالاً بغرب ولكن الالمان عادوا فانتزعوها منهم ثم جاءت جنودهم من شمالي سويب وخندقت في مكان اقرب الى ريس واصبحت مدافعهم محتكمة في المدينة من بريون الى نوجان وفي نهر سويب فضلاً عن ان مدافعهم الضخمة على اكام كراوون حالت دون تقدم الفرنسويين

وكان في يد الفرنسويين ربوتان الى الشرق ـ بويون بين نهري آين وفسل واخرى تعرف باسم «جبل ريس» قرب فرزناي وجنوبي فسل . ولكن مدافعهم الخفيفة التي نصب عليهما قصرت عن بلوغ مدافع الالمان . وحمل مشاة الالمان حملات كثيرة ليلاً تساعدهم المدافع قصد خرق الصفوف الفرنسوية في السهل فرقتهم مدافع الفرنسويين كل ممزق . والحق يقال ان الحلفاء اثأروا من الالمان هنا على ما فقدوا من النفوس عند مهاجمة صعيد سواسون . وكان الفضل في ذلك لمدافع «٧٥» . ولما كان الالمان هم المهاجمين كانت خسارتهم اعظم ودام التقتيل ليل نهار حتى «انسحبوا» بعيدين عن مدى المدافع في جهة هضاب نوجان

وحينئذ شرع الضابط البروسي الذي جعلت المدافع الضخمة تحت امرته يطلق قنابله على كنيسة ريس . ولما قيل له في ذلك ادّعى ان الضرورة الحربية اباحت له فعل ما فعل لان الفرنسويين استخدموا ابراج الكنيسة لارشاد رجال المدفعية ولكن ظهر من التحقيق ان هذه التهمة غير صحيحة وان الكنيسة لم تستعمل لغرض عسكريّ ما سوى تحويلها مستشفى لجرحى الجنود الالمانية . وعاد الالمان فقالوا انه كان بقرب الكنيسة بطرية فرنسوية كانت منصوبة في

مكان يجعل الكنيسة في خط نار الالمان . والحقيقة انه كان شمالي الكنيسة وعلى بعد ميل عنها بعض المدافع الفرنسوية وجنوبيها وعلى بعد ميلين مدافع اخرى. ومدافع على هذا البعد ليست في خط النار كما ادعى الالمان

بدأ الالمان ضرب منازل المدينة بمدافعهم . وفي ١٨ سبتمبر اصابت شظايا مدافعهم الرشاشة نوافذ الكنيسة فمزقتها وقتلت اثنين من جرحى جنودهم الذين فيها . فهلعت قلوب السكان ولجأوا الى اقبية منازلهم. وكان الالمان يطلقون مدافعهم نهاراً ويكفون ليلاً خشيه ان يهتدي الفرنسوبون بنارها الى مواقعها . وفي صباح اليوم التالي (١٩ سبتمبر) وجهوا نيرانهم الى الكنيسة وامتدت النار الى سقفها وبات الجرحى الالمان الذبن فيها على خطر . فهبَّ رئيس الاساقفه ومساعدوه لنقلهم من الكنيسة الى الخارج . وكان اهل ريمس قد هالهم ما اصاب كنبستهم الاثرية التي تفوق ببهائها ورونقها سائر ما في ارض فرنسامن العاديات وراعهم كذلك ضرب بيوتهم بالقنابل وقتل خمس مئة نسمة من اهلهم وجيرانهم بها فاحدق بالكنيسة جمع غفير منهم وهم يصيحون باعلى اصواتهم غيظاً طالبين ابقاء جرحى الالمان في الكنيسه ليموتوا احتراقاً . ولكن رئيس الاساقفة وقف بينهم وبين الجرحى مستعطفاً اياهم ناصحاً لهم بتسكين روعهم فسكتوا وفتحوا طريقاً للاطباء والممرضات فنقلوا الجرحى الى مكان امين . وكانت المدافع الالمانية لا تزال تطلق قنابلها في خلال هذا الحادث فكسرت التماثيل البديعة الصنع وحولت ما لم يكسر منها رماداً من حرّ النار

على ان القوة الالمانية التي ضربت ريمس من نوجان لابيس حلّ بها العقاب الذي تستحقه . فان ١٥ الفاً من الالمان هاجموا فجر ٢٦ سبتمبر الصفوف الفرنسوية وفيهم البقية الباقية من الحرس البروسي . وكان غرضهم تخريب خط سكة الحديد بين ريمس وفردان فعلم الجنرال فوش بغرضهم هذا واستعدّ للقائهم واحباط

مسعاهم.فانتدب الاياً من الفرسان وامره باحتلال قرية اوبريف على عجل وهي على نهر سويب وبتأخير الالمان عن الزحف ريثما نصل قوة كبيرة من الفرنسويين كانت مرابطة في جوشريه على بعد خمسة اميال

وفي الساعة السادسة من صباح اليوم المذكور احتل الفرسان اوبريف واقاموا المتاريس في اسواقها ونصبوا البنادق المتعددة الطلقات على سطوح منازلها وكانت المدفعية الفرنسوية حينئذ في سان هيلار على بعد ٣ اميال عنها . فوجه القائد الالماني الاياًمن فرسانه لقطع الطريق على المدفعية فهاجمها الفرسان من كروم عنب كانت على ميسرتها وظهر انهم سيبلغونها قبلما تتمكن من اطلاق مدافعها عليهم . ولكن الرجال فكّوا خيلهم من مركبات المدافع وارسلوها الى وراء ثم صوّبوا مدافعهم الى الفرسان الحاملين عليهم فلم ينج منهم مخبر

وكان الفرسان الفرنسويون في اوبريف قد اخروا الالمان في غضون ذلك عن الزحف جهد المستطاع ثم اخذوا يتراجعون الى سان هيلار حيث التقوا بالمدفعية المنصورة . وفي اثناء تلاقيهم وصل الحرس البروسي بمدافعه فتوقف مشاته عن الزحف وجعل مدفعيته يضربون المدفعية الفرنسوية . ثم تسلل المشاة بين الكروم لاصطياد رجال المدافع ولكن الفرسان الفرنسويين هبوا لاكتناف البروسيين بدلاً من ان يحموا مدافعهم . وكان مشاة الفرنسويين قد طفقوا يصلون وتسللت اورطة من الزواف دائرة حول ساقة البروسيين . ولم يكد القائد الالماني يعلم بما كان يجرى في ساقته حتى باتت قوته مكتنفة من كل جهة تقريباً ولم يبق في النطاق الذي ضرب حوله سوى فرجة واحدة في جهة ريمس كان الفرنسويون يسدّونها بسرعة . فتقهقر الالمان بمدافعهم في جهتها وحمل الحرس البروسي في مقدمتهم لحماية تقهقرهم خمس حملات شديدة وكانوا كل مرة يصدّون بخسارة كبيرة . وبعد الحملة الخامسة لم يبق من الحرس سوى

مئة رجل وكانوا جميعهم مجروحين فسلموا بعد ان خلصوا الجيش الالماني من الهلاك وبعد ان فقد منهم نحو ثلاثة آلاف رجل

***

لو ترك الجنرال فون مولتكي وشأنه لما كان رئيساً لاركان حرب الجيش الالماني لحتم انهزام الالمان على نهر مارن وفشلهم على نهري اين وسويب واخفاق حركتهم غرباً ـ بحشد ثلاثة ارباع مليون رجل لاسترجاع غابة ارجون. ولكن الامبراطور لم يوافق على هذه الخطة بل وضع خطة اخرى بمساعدة الجنرال فون فلكنهاين فحواها نقل الاعمال الحربية الى ايبر ولاباسيه.فاستعفى مولتكي من رآسة الجيش وكان من امر خطة الامبراطور ماكان . والحق يقال ان مولتكي اقدرهم على معرفة المواضع التي يجب ان تضرب الضربة فيها ولكن ضرباته لم تكن على ما يجب من السرعة والبطش بعد الانتصارات التي حازها في اغسطس . فان بقعة ارجون هي نقطة الخطر على فرنسا ولهذا السبب انتدب جوفر ثلاثة من خيرة قواده وكثيراً من احذق جنوده وارشقهم وامهرهم لنعمل هناك . وقد كانت هذه البقعة محور الاعمال العسكرية كلها وبناءً على ذلك ارسلت اليها «الارسالية» الاولى من المدافع الضخمة الجديدة وبعض مدافع الحصار من فردان لان المحور يجب ان يكون ثابتاً فاذا قلق قلقت جميع الجيوش التي تدور عليه

ولقد مرّ يوم من ايام سبتمبر بان فيه كأنّ المحور اضطرب وكأنّ الخط الشمالي للقوات الفرنسوية الانكليزية بات على شفا خطر . ففي اليوم الخامس عشر من الشهر المذكور اضطرّ جيش ولي العهد الى التقهقر من موقفه بعد ما كان يفرغ الجهد في اختراق الصفوف الفرنسوية عند حصن تروبون تحت فردان وتول.

وهو الحصن الذي منع الجيش الالماني المرابط حول متس من اكتناف الميمنة الفرنسوية . وكان قد استحال عرمة خراب من شدة ضرب الالمان اياه بمدافعهم ولكن ولي العهد اضطر الى التقهقر قبل تسليم الحصن وفتح طريق في وجهه الى قلب فرنسا . وحينئذ تولى هيرنجن قائد جيش متس (الجيش السابع) القيادة العامة في صعيد سواسون . ولكن القائد الذي خلفه في متس لم تعوزه قوة الابتكار والاقدام . فانه حشد جيشاً جديداً من جنود الخط الثاني (الاحتياطي) من وادي نهر رين وجاء ببعض مدافع «سكودا» الضخمة التي تقذف قنبلة قطرها ١٢ بوصة الى مسافة بعيدة وزحف من تيوكور مارّاً ببلاد ووفر بين فردان وتول . فاستولى على بعض الاكام المنخفضة الواقعة على مسافة بضعة اميال من حصن معسكر الرومان ونهر موز . ومعسكر الرومان هذا هو حصن فرنسوي من الحصون التي تربط تول بفردان كحصن ترويون . وكانت مدافعه لا تصل القائد الالماني وظنّ الفرنسويون ان مدافع القائد لا تبلغ الحصن أيضاً وانه اذا شاء ضربه وجب ان يدنو منه فتصله حينئذ قنابلهم فلذلك لم يخشوا بأساً غير حاسبين للمدافع الجديدة حساباً

وقد اشاعت احدى الصحف الفرنسويه ان الالمان كانوا قد اعدوا في زمن السلم دكّات لتلك المدافع اذ كانت احدى الشركات الالمانية قد استأجرت الارض التي اقيمت الدكّات فيها للبناء . وأشيع مثل هذه الاشاعة عن اماكن اخرى في فرنسا والبلجيك ولكنها لم تؤيد رسمياً والراجح ان الجيش الغازي صنع تلك الدكّات من الخرسانة حيث وجدت ثم ثبّتها في اماكنها عند الاقتضاء. وزد على ذلك ان لمدافع هوتزر الضخمة (ما عدا مدافع الهاوون التي قطر فوهتها ١٦ بوصة ونصف ولم يكن عند المانيا سوى ٨ منها عند ابتداء الحرب) جهازاً خاصاً بها لتخفيف قوة الصدمة بعد اطلاقها ولاجتناب التأخير الناشىء عن

تنبيتها على دكّات كالمذكورة آنفاً

ومهما يمكن من ذلك كله فان هذه المدافع لم تكن بحسبان الحاميه المقيمة في معسكر الرومان قرب مدينه سان مهيال اذ لم يكن عندها مدافع تجاوب المدافع الالمانية التي تطلق قنابلها عليها من اماكن لا تراها فضلاً عن ان قنابلها هي لا تبلغ المدافع الالمانيه ولو رأتها. وارسل الجنرال سارايل من فردان وقائده حصن تول جنوداً كثيرة الى ساحة القتال ولكن الالمان حاولوا بمدافعهم الضخمة التي جاؤوا بها الى تيوكور بسكة الحديد دون تقدم الجيشين الفرنسويين الثاني والثالث واستمروا على ضرب معسكر الرومان ليفتحوا لهم باباً آخر الى فرنسا . فلم يكن الا القليل حتى تفتت الحصن تحت مطر دائم من القنابل المدمرة واسكتت مدافعه . وحينئذ زحف جيش متس تحت حماية مدافعه كلها واستولى على الحصن . فلما نمي الخبر الى المانيا طرب اهلها وجذلوا اذ قد خرق خط الحصون الفرنسوية الذي كان اركان حرب الجيش الالماني يعدونه فائقاً في مناعته الى حد ان فضلوا خرق حياد البلجيك مع ما فيه من جرّ انكلترا الى القتال على فقد مئة الف نفس في محاولة دخول فرنسا بين تول وفردان

ولقد علق القوم آمالاً حساناً بدخول جيش الماني لتلك الفرجة . وقالوا اذا استطاع جيش الماني كبير عدته نصف مليون ومؤلف من جيش لورين الجديد وكل جندي يمكن توفيره من الميدان الشرقي ـ ان يدخل ارض فرنسا بطريق سان مهيال اصبح خلف جيوش الحلفاء الكبرى من غاب ارجون الى نوايون وسان كنتان . فيضطر جوفر ان «يسحب» جيوشه كلها الى ما وراء باريس ويترك فردان في ايدي المقدور ويجعل تول مدار جيوشه في المعركة الفاصلة الكبرى

هذا ما كان الجنرال مولتكي وقائد جيش متس ينويانه من مهاجمة حصن

معسكر الرومان . ولكن جوفر لم يكن ليجهل نيتهما . فانه بعد ان كاد الالمان يستولون على حصن ترويون ادرك جوفر انهم لا بدّ ان يعاودوا الكرة على خط فردان وتول ليخرقوه من القلب وكان يعلم موضع الضعف هذا من خطه فرتقه قبل اتساع الخرق على الراقع . فلما زحف الالمان من معسكر الرومان على نهر موز اوقفهم قائدهم عن الزحف بغتة . ذلك ان الفرنسويين خبأوا على التلال المشرفة على النهر مدافع اكبر مما كان في الحصن المذكور وحفروا خنادق للمشاة في الروابي المنخفضة تحت حماية المدافع وبادارة الجنرال دوبايل اعظم محارب في فرنسا . وكان جميع رجاله ومدافعه مخبوءة ولا سيما مدافع «٧٥» التي خبر الالمان فتكها وامامها مدافع هوتزر السريعة الطلقات وخلفها المدافع الضخمة من تول . وكانت على شكل هلال حول المكان الذي قد يحاول الالمان المرور به في طريقهم الى فرنسا . وفي عبر النهر وعلى جناحي الجيش الالماني وقف جيشا تول وفردان

فلما رأى مولتكي ان الزحف مستحيل تحت نار من خلف ومن قدام وان ذلك يكلفه اكثر من المئة الالف التي قدر الالمان خسارتها في عبور نهر موز عدل عن هذه الفكرة . ولما خلفه فلكنهاين تابعه على رأيه . وبذلك صدّ الالمان من نهر آين الى نهر موز الاعلى